طرق البريد في مصر

عصر سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠- ١٣٨١م)

"دراسة فى الجغرافيا التاريخية"

د. عبد الغني عبد العزيز زيادة*

الملخص :

البريد هو عين السلاطين التي يرقُبون خلالها ما يجري من أحداث حولهم ولهذا اهتم سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨١م) بالبريد وأولوه جُل عنايتهم، هذا وقد تمتعت مصر المملوكية بشبكة جيدة من طرق البريد. وسيبدأ الباحث بالحديث عن البريد في الاصطلاح واللغة، ثم التعرض لشبكة طرق البريد في مصر من خلال الحديث عن البريد البري، والذى سنتناول فيه الحديث عن مسافة البريد، مدى اهتمام الحكومة بالطرق البريدية البرية، دور قبائل العربان والتركمان في تدعيم جهاز البريد، استخدامات البريد البري. ثم ينتقل الحديث عن البريد الجوي من خلال الحديث عن الحمام الرسائلي، أبراج الحمام وأخيرًا نماذج من استخدامات المراسلات عبر بطائق الحمام.

المقدمة :

البريد هو عين السلاطين التي يرقُبون خلالها ما يجري من أحداث حولهم ولهذا اهتم سلاطين المماليك البحرية بالبريد وأولوه جُل عنايتهم، وأصدق دليل على ذلك قول ابن شداد في سيرة الملك الظاهر بيبرس البندقداري (سلطان مصر من ٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م) عنه: "أنه لم يرد عليه بريد في شيء، سواء كان مهمًا، أو غير مهم، إلا وأعاد الجواب فيه من وقته، ولو أتاه وهو على طعامه"(١).

ولقد فرض اضطراب الأحوال السياسية في السلطنة المملوكية اهتمامًا بالغًا بالبريد ونظامه، ذلك أن كثرة المؤامرات والدسائس التي تعرض لها السلاطين من خصومهم الطامحين للحكم، أو من الذين حاولوا الظفر بامتيازات خاصة، كانت سببًا للالتفات للبريد بغية الوقوف على أحوالهم، وكشف دسائسهم. يضاف لهذا وذلك حاجة السلطنة في مراسلاتها الداخلية والخارجية للبريد كنظامٍ يحكم نظامها الإداري.

---

* أستاذ الجغرافيا التاريخية المساعد (جامعة القاهرة).

وهكذا كان البريد بمثابة "جناح الإسلام الذي لا يحص (لا يُقطع)، وطرف قادمته التي لا تقص". وذكر القلقشندي أن البريد أضحى في مصر والشام مستقرًا عنايةً وتنظمًا إلى سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م حتى اجتاحت جيوش التتار الشام بقيادة تيمورلنك فدمرت دمشق وأحرقتها فكان ذلك سببًا لقطع جناح البريد وبطلانه من سائر الممالك الشامية، وأردف مخبرًا أن هذا الخلل انتقل إلى مصر فقال: "ثم سري هذا السم إلى الديار المصرية فألحقها بالهمل، ورماها بعد الحلي بالعطل، فذهبت معالم البريد من مصر والشام، وعفت آثاره"[٢].

كما ذكر ابن تغري بردي في كتابه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" عبارة أخرى تعضد ما ذهب إليه القلقشندي من سوء أوضاع البريد حينئذ، إذ قال في حوادث سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م: "وأما ما ذهب من الوظائف التي كان يليها أمراء الطبلخاناه[٣] مثل شاد[٤] الدواوين وشاد القصر السلطاني، ومقدم البريدية، وشاد العمائر– وإن كان بعض هذه الوظائف مستمرة– فإنه لا يتقلدها إلا الأحداث من الناس.[٥] أى صغار الناس، كناية عن عدم الاكتراث بطرق البريد في هذا التوقيت.

ومهما يكن من أمر، فإننا ومع إجلالنا لوجهتي نظر القلقشندي – وهو الخبير في فن الإنشاء – وابن تغري بردي – المؤرخ المتقن لفنه – من سوء أحوال البريد بعد الغزو المغولي للشام، فإنه لا يمكننا أخذ ذلك كحقيقة محضة، فالضرورة العلمية تحتم علينا أن نجمع ما يمكن جمعه من مادة عن دور البريد منذ بداية العصر المملوكي حتى نهايته، عسى أن نبرز صورة جلية عن دوره في ربط أوصال السلطنة بعضها ببعض، ونوضح المهام الجسام التي ترتبط به، أو نسلم في نهاية البحث بما ذهبا إليه.

وسوف نتناول أولاً: الحديث عن أصل كلمة البريد وأهمية الطرق البريدية ثم نعرج بالحديث إلى شبكة طرق البريد في مصر وأخيراً نعرض لاستخدامات البريد ومدى اهتمام الحكام بالطرق البريدية.

موضوع الدراسة وأسباب اختياره :

لم تنل نظم الدولة الإسلامية الإدارية – خاصة المحلية منها – الاهتمام الكافي من قبل الرحالة والمؤرخين، وحسبنا في ذلك نظام البريد الذي رغم أهميته البالغة في النظام الإداري بوصفه معبرًا عن قوة الدولة ومدى كفاءة الجهاز التنظيمي لها، رغم ذلك فإن الدراسات التي تناولته كانت ذات خطوط عريضة لم تصل به إلى دراسة متخصصة تتناول عصرًا بعينه، أو نظامًا بريديًا خاصًا بدولة ما من الدول الإسلامية.

وعلى هذا النحو اتجه اهتمام الباحث إلى دراسة هذا النظام في العصر المملوكي البحري[٦] نظرًا لما تمتع به من مكانةٍ مرموقةٍ جعلته يؤدي دورًا عظيمًا في النهوض بأعباء البلاد في وقت كانت الحاجة

فيه ملحة لنظام يعمل على وحدة وترابط المملكة ضد الاجتياح المغولي الزاحف من الشرق، والصليبيين الذين يتحينون الفرصة للانقضاض على أملاك المسلمين في بلاد الشام، وبذلك كان نظام البريد أحد الدعامات الأساسية التي ارتكزت عليها البلاد في عصر دولة المماليك البحرية.

ويرجع الفضل في ازدهار هذا النظام في عصر المماليك البحرية إلى السلطان الظاهر بيبرس البندقداري – المؤسس الحقيقي لدولة المماليك – الذي أخذ ينظر قليلاً إلى الوراء حيث نظام البريد في عهد أسلافه الخلفاء، وينظر إليه عن قرب ممثلاً في بريد المغول المتقدم، ومن كلا النظامين ازدهر نظام البريد في عهده وتطور بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، مما جعل من تلاه من سلاطين المماليك يحذون حذوه في العناية بهذا النظام. كما سيأتي.

هذا وقد قدر لهذا النظام أن يحتفظ بقوته وتنظيمه فيما يزيد علي نصف قرن من الزمان، قبل أن يلحقه التدهور عقب وفاة الناصر محمد بن قلاوون (سلطان مصر في ولايته الثالثة من ٧٤٣:٧٤٣هـ/١٣٤٢:١٣٤٣م) وحتى نهاية دولة المماليك البحرية، نتيجة للصراع المرير بين كبار الأمراء لنيل عرش السلطنة من ناحية، واشتداد وطأة الهجوم المغولي على حدود الدولة من ناحية أخرى.

قصارى القول أنه كان لنظام البريد في عصر دولة المماليك البحرية شخصية متميزة تفرد بها عن غيره من سائر النظم، وشكل أخر غير الذي عرف به في العصور الإسلامية المبكرة، حيث كان مولد هذا النظام على يد الخلفاء الأمويين ثم العباسيين ... مرورًا بالدولة الطولونية فالإخشيدية ثم الفاطمية والأيوبية، فلم تكن مصر يومًا جزيرة منعزلة بل مرتبطة بإقليمها الشرق أوسطي منذ العصور الفرعونية، ولابد أن كانت هناك طرق لإرسال المعلومات من أطراف مصر للقلب وإلى علاقات مع دويلات البحر المتوسط الشرقي من الشام إلى اليونان وقبرص وكيت ... الخ.

جدير بالذكر أن أول من وضع البريد في الإسلام معاوية بن أبي سفيان لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها حين استقرت له الخلافة، وذكر القلقشندي أن البريد بعد ذلك لم يزل مستقراً بالديار المصرية والممالك الشامية إلى أن اجتاحت جيوش التتار بلاد الشام.(٧)

منهج الدراسة :

أما بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الدراسة فهو منهج موضوعي يرصد طبيعة نظام البريد من خلال الحديث عن مراكز البريد، ومدى اهتمام الحكومة بطرق البريد واستخدامات البريد ويربط بينه وبين العوامل المختلفة المؤثرة فيه سواء كانت عوامل جغرافية أو سياسية، كما استخدم الباحث المنهج الوصفي وذلك من أجل تشكيل الهيكل العام للدراسة في ظل ندرة المادة التاريخية وتفرقها في شذرات دقيقة.

أيضًا استخدم الباحث المنهج التاريخي في تتبع طرق البريد قبل وأثناء وفي نهاية عصر المماليك البحرية، للتعرف على العوامل التي ساعدت على ازدهار وتدهور طرق البريد.

الدراسات السابقة :

رغم وجود بعض الدراسات التي تعرضت لنظام البريد في العصر المملوكي بأسره، إلا أنها تناولته بصفة عامة مثل الدراسة التي قام بها المستشرق الفرنسي سوفاجيه "Sauvaget" في كتابه بعنوان:
La Post aux chevaux dans L'empire des mamelouks, Paris, 1923.

الذي تناول فيه نظام البريد في العصر المملوكي، وإن كان الطابع الأثري هو الغالب على هذه الدراسة، وهناك أيضًا بعض الدراسات التي عالجت نقاطًا صغيرة حول هذا النظام مثل دراسة "سيدة صادق" Syedah Sadeque عن:

Development of Al-Barid or Mail-Post during the Reign of Baybars! of Egypt (1260-1276 A.D).

ورغم أن العصر المملوكي اشتهر بوفرة مصادرة، إلا أن من أهم الصعوبات التي واجهت الدراسة هو أن تلك المصادر قد تميزت بندرة المادة التاريخية الخاصة بالبريد، أضف إلى ذلك اهتمام تلك المصادر بإبراز الأحداث السياسية وندرة الاهتمام بالجوانب الإدارية، مما زاد من صعوبة هذه الدراسة.

أولاً – البريد في الاصطلاح واللغة :

قبل أن نمضي قُدمًا في استعراض موضوع البريد في مصر المملوكية، كان لزامًا علينا أن نفسر معنى كلمة البريد في الاصطلاح واللغة، وأن نتبين أصلها، وهل هي فارسية أم عربية أم لاتينية، فالبريد في الاصطلاح هو أن يجعل خيل مضمرات (الجواد الخفيف النحيل) في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسًا مستريحًا، وكذلك يفعل في المكان الآخر، والآخر حتى يصل بسرعة[٨].

أما البريد في اللغة فهو مسافة محددة بين مركزين قدرها الفقهاء وعلماء المسالك والممالك بأنها أربعة فراسخ أو إثنى عشرة ميلاً[٩].

هذا وقد اختلف المؤرخون في أصل هذه الكلمة، فذهب البعض إلى أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية Veredus التي تعني الخيل أو الدابة التي يركبها العامل في نقل مكاتبة من مكان لآخر، أو ممن يقوم بنقل البريد Veredarii، ثم نقلت مجازًا إلى المسافة المقطوعة[١٠]، بينما يرى البعض الآخر أنها عربية الأصل، وهي مشتقة من برد أو أبرد بمعنى أرسل فتقول بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج

منها، وقيل من برد بمعنى "ثبت" لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار ويقال "اليوم بارد سمومه" أي ثابت[١١].

ويرى فريق ثالث أنها فارسية معربة، فأصلها بالفارسية "بريده دم" أي مقصوص الذنب أو الذيل لأن الفرس من عاداتهم إذا أقاموا بغلاً في البريد قصوا ذيله ليمتاز عن غيره، وليكون ذلك علامة على أنه صار من بغال البريد[١٢].

وأيًا كانت الآراء التي ذكرت، فالخلاصة أن العجم كان لهم النصيب الأكبر في معرفة البريد وتنظيمه، بل ومن المرجح أن كلمة البريد المستعملة في اللغة العربية هي ذاتها دليل على أن العرب لم يستنبطوا نظام البريد ولكنهم نقلوه عن الفرس أو الرومان أو عنهما معًا، ولكن بما أن أكثر المصطلحات البريدية التي كانت مستعملة أيام الخلفاء فارسية الأصل ومنها الفرانق[١٣]، والفيج[١٤]، لذا فنحن نرجح ما ذهب إليه أحد المؤرخين المحدثين[١٥]. من أن كلمة البريد فارسية الأصل.

ثانيًا - شبكة طرق البريد في مصر :

كانت قلعة الجبل مركزًا لعدة طرق بريدية تخرج منها لتربط أطراف الديار المصرية من ناحية ولتربط مصر بما حولها من أقطار من ناحية أخرى خاصة بلاد الشام والنوبة وما بعدها جنوبًا.

ولقد كان لسلاطين المماليك البحرية الاهتمام البالغ في البريد ونظامه، وتمثل ذلك في العناية الفائقة بالبريد البري وإنشاء مراكز خاصة به، كما نال البريد الجوي ذات الاهتمام بإقامة أبراج الحمام الرسائلي المخصص لذلك، وسوف نعرض فيما يلي لنوعي البريد وما يتصل بكل نوع من لواحق.

١) البريد البري :

ومن لواحقه: الحديث عن مسافته، والمراسلات السلطانية التي تتم من خلاله وأنواعها، والحديث عن مراكز البريد البري، ونعرض استخدامات البريد وتنوعها حسب ما تتطلبه الحاجة.

١- مسافة البريد :

تقدر بأربعة فراسخ، والفرسخ مقياس يعادل المسافة التي يقطعها الحصان مشيًا في مدة ساعة، وطوله عند الفرس ٥٢٥٠ مترًا، وعند العرب ٥٧٦٢ مترًا، وطول الفرسخ في مختلف العصور ومختلف المناطق كان يتراوح بين خمسة ونصف كيلو مترات وبين ثمانية ونصف كيلو مترات.[١٦]

٢- مراكز البريد البري :

هي الأماكن التي تقف فيها خيل البريد لغرض تغيير خيل البريدية فيها فرسًا بعد فرس. والمراكز متفاوتة في أبعادها وفق ما تتطلبه الضرورة، فتارة لبعد الماء، وتارة للأنس بقرية ما.

وهكذا كان للبريد طرقًا تتشعب من مركز الدولة بالقاهرة إلى أطرافها حتى تتصل بطرق الأقاليم الأخرى، وكل طريق من هذه الطرق البريدية ينقسم إلى مراحل أو مراكز تقدر بإثنى عشر ميلاً، وهي الأماكن التي يقف فيها صاحب البريد لاستبدال فرسه بآخر، وقد تختلف المسافة بين مركز وآخر[١٧] (شكل ١).

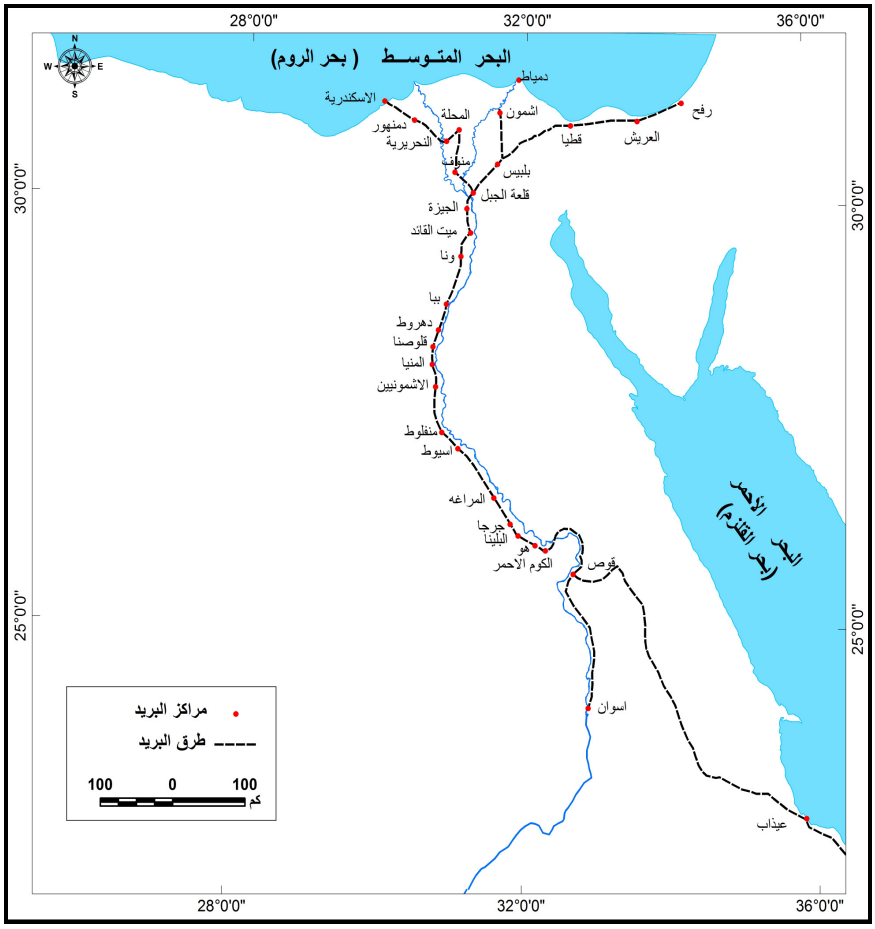

شكل (١) : شبكة الطرق البريدية في مصرالمملوكية.

ولعل السبب في عدم انتظام مراكز البريد من حيث المسافة، واضح وهو الاقتراب من الماء أو قرية ليشعر عمال البريد بالمؤانسة لأن خلو المكان من الناس يوحي بالوحشة والرهبة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأقاليم المزدحمة السكان يصعب على العدو اختراقها بسهولة، بينما يسهل عليه ذلك في الأماكن الخالية.

وحين نفصل القول عن شبكة الطرق البريدية في مصر عصر سلاطين المماليك البحرية، فسوف نجد مدى تشعب الطرق التي تربط قلعة الجبل بأطراف الدولة حتى أقصى امتداداتها في بلاد الشام.

وكذلك تربط هذه الشبكة من الطرق البريدية العاصمة بمداخل مصر الرئيسية وثغورها ورباطاتها الساحلية والبرية مما يحقق الغاية من إحكام الدولة سيطرتها على كافة أرجاء البلاد وسرعة تبليغ أوامرها والإطلاع على أحوال النواحي، وفوق ذلك مراقبة الولاه وحكام الأقاليم وغير ذلك مما يدخل في مجال مهام البريد.

والآن نعرض لأهم المراكز التي كانت تقع على طرق البريد الرئيسية والتي كانت تتفرع من مركز واحد رئيسي هو قلعة الجبل وذلك على النحو التالي:

أ- من قلعة الجبل إلى قوص وما يتفرع منه إلى أسوان وعيذاب :

وصف الزعيم المغولي هولاكو القاهرة بأنها "بخش الفأر"[١٨]، كما وصفها كذلك في إحدى رسائله بأنها "كروان سراي" أي محط الرحال والمتاجر والمال وفندق المسافرين وربما نشأت تلك التسمية من انتهاء معظم الطرق التجارية إليها في سائر جهات الشرق والغرب في العصور الوسطى[١٩].

وأغلب الظن أن هذا الوصف على جانب كبير من الصحة، حيث تشعبت مراكز البريد داخل الحدود المصرية إلى ثلاث خطوط رئيسية، تخرج جميعها من بؤرة واحدة هي قلعة الجبل، ويتجه أولها إلى مدينة قوص محاذيًا للنيل[٢٠] (شكل ٢). وكان البريدية عادة ما يقطعونه في ثلاثة أيام وأحيانًا أخرى في أربعة أيام[٢١]. بحيث إذا كلف أحدهم بتوصيل رسالة ما إلى والى قوص، فإنه كان يخرج بها من القلعة مارًا بمراكز خيل البريد الخاصة بخط الصعيد، فيكون أولى مراكزه الجيزة، ثمإلى "زاوية أم حسين"[٢٢]، ثم إلى "منية القائد"[٢٣]، ثم إلى "ونا"[٢٤]. ثم إلى "ببا"[٢٥]، ثم إلى "دهروط"، ثم إلى "أقلوسنا"[٢٦]، ثم إلى "منية ابن الخصيب"[٢٧]، ثم إلى "الأشمونيين"، ثم إلى "ذروة سربام"[٢٨]، ثم إلى "منفلوط"، ثم إلى "أسيوط"، ثم إلى "طما"[٢٩]، ثم "المراغة"[٣٠]، ثم إلى "بلسبورة"[٣١]، ثم إلى "جرجا" ثم إلى "البلينة"[٣٢]، ثم إلى "هو"[٣٣]، ثم أخيرًا إلى "قوص"[٣٤]، وجدير بالذكر أن الرحالة المغربي "ابن

بطوطة" قد مر على معظم هذه المراكز البريدية حين توجه من هذا الطريق للحج، فكانت هذه المراكز محط رحالة للتزود بما يحتاجه من الزاد والمؤن.

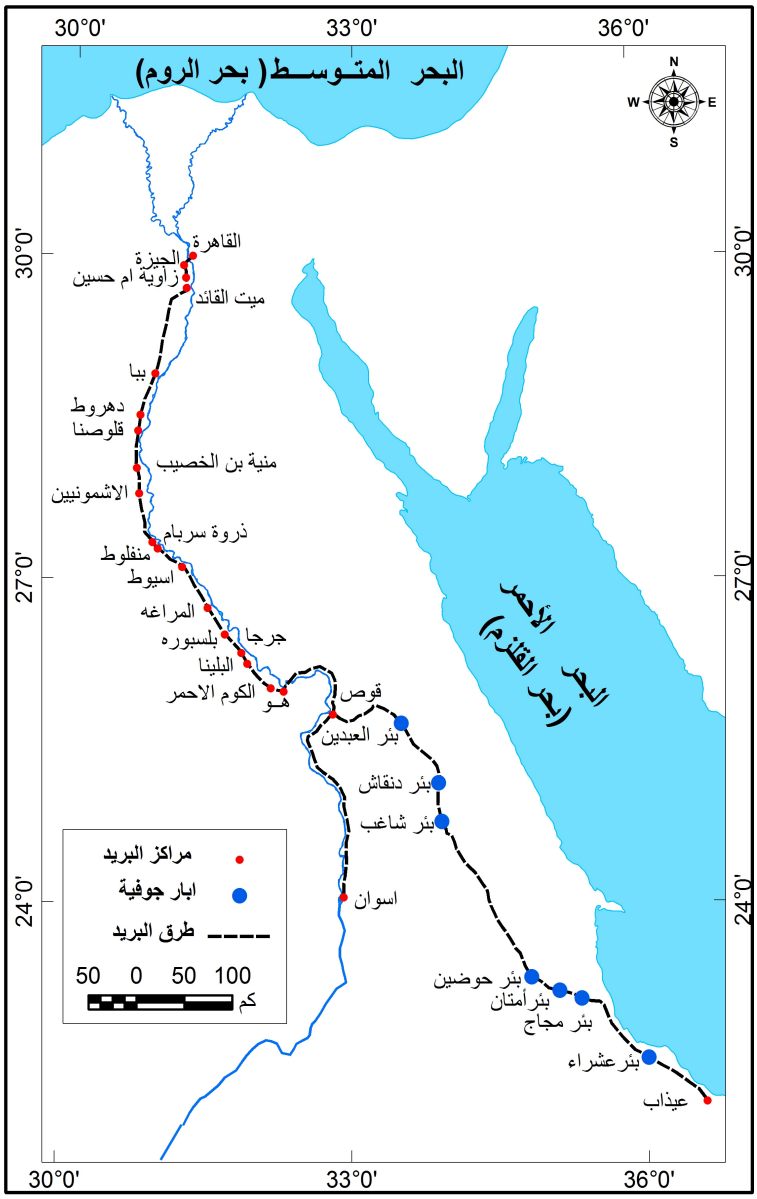

شكل (٢) : طرق ومراكز البريد من قلعة الجبل الي قوص.

ونظرًا لانقطاع البريد عند قوص، كان على البريدي أن يركب الهجن إلى أسوان فبلاد النوبة حيث أخر حدود السلطنة من الجنوب[٣٥]، كما كان يركب الهجن أيضًا لنقله إلى ميناء عيذاب أهم الموانئ على البحر الأحمر[٣٦] والذي اتخذه التجار والحجاج على السواء، كما كان هذا الطريق يوصل على مراكز التعدين ومناجم الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية[٣٧].

ويلاحظ من مراكز البريد المتقدمة ارتباط مواقع بعضها بوجود عيون الماء كماء بئر لقيطه، بئر دنقاش، بئر حوضين، بئر أمتان، بئر مجاج، وبئر عشراء القريبة من عيذاب، وهو أمر مهم تفرضه حاجة البريدي وخيله ومن يعمل في هذه المراكز إلى الماء (شكل ٣).

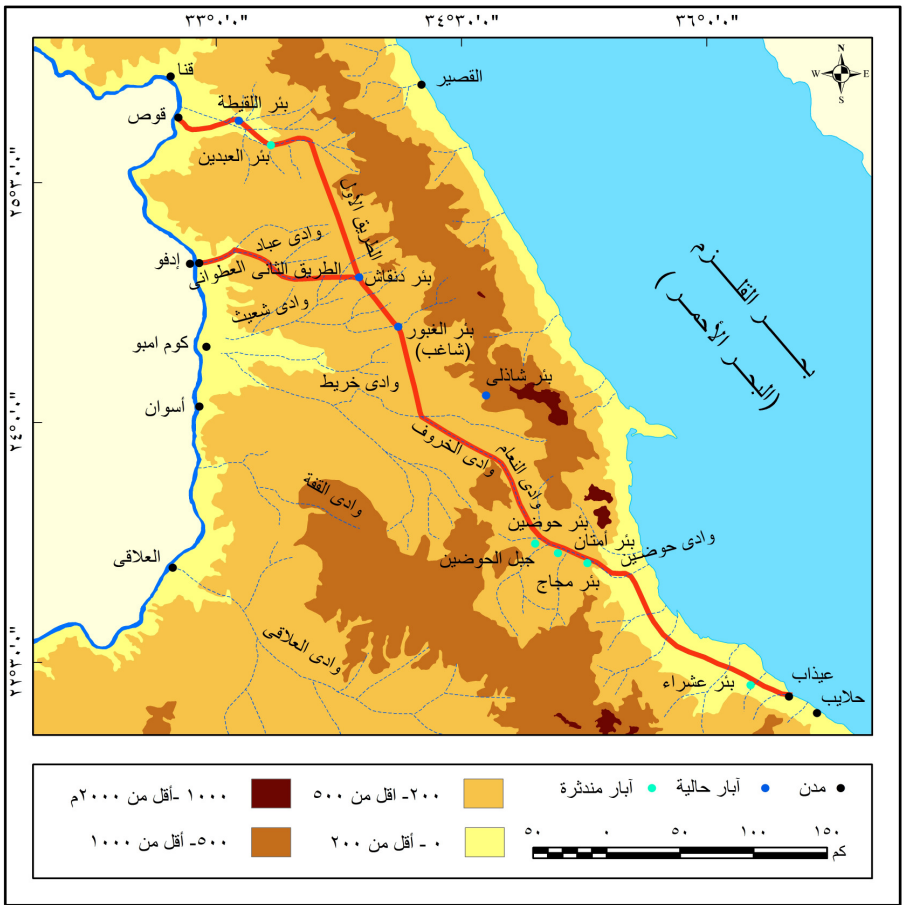

شكل (٣) : طريق البريد من قوص إلى عيذاب.

المصدر: الهيئة المصرية العامة للمساحة، خريطة مصر مقياس ١:٢٠٠٠٠٠٠، ٢٠١٠، ابن جبير: مرجع سبق ذكره، ص ص ٧١-٧٣.

ب- من قلعة الجبل إلى الإسكندرية :

وثاني خطوط البريد داخل مصر خاص بالإسكندرية، وكان البريدية عادة ما يقطعونه في يوم أو يومين تقريبًا، وقد وجهت العناية لها بصفة خاصة باعتبارها أهم منفذ لتجارة الشرق في طريقها إلى الغرب، إضافة إلى أهميتها الاستراتيجية، فبالاستيلاء عليها يصبح صاحبها مسيطرًا على ثغرها العظيم وحصونها المنيعة، وكافة طرق المواصلات في شرق البحر المتوسط(٣٨)، لذا فقد عمد سلاطين المماليك إلى تخصيص خطى بريد لنقل الأخبار إليها من قلعة الجبل والعكس (شكل ٤).

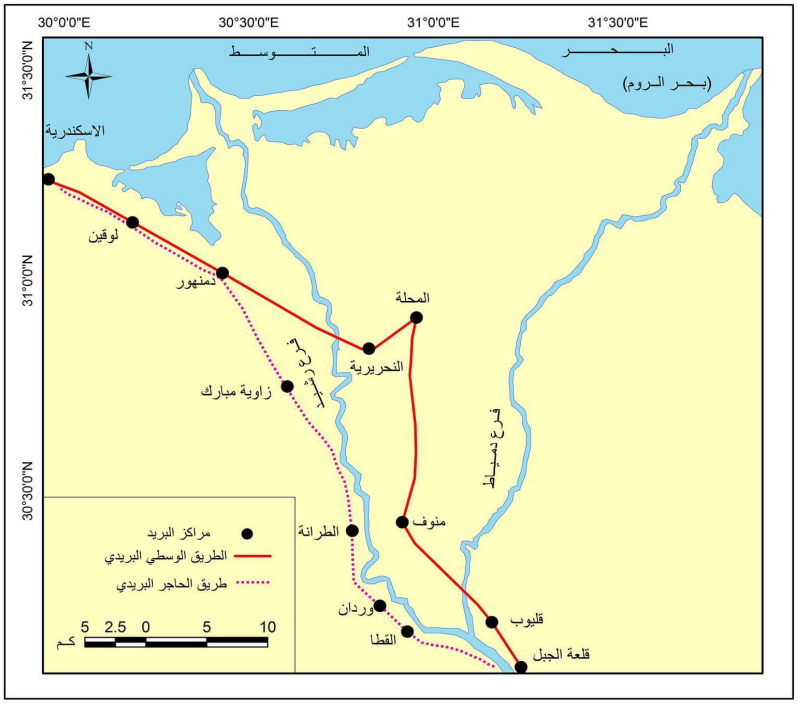

شكل (٤) : طرق ومراكز البريد من قلعة الجبل إلي الاسكندرية.

كان الأول يسير بين فرعي النيل حيث المناطق المعمورة والمأهولة بالسكان ويعرف "بالطريق البريدي الوسطى" وفيه يتجه البريدي من قلعة الجبل إلى قليوب، ثم إلى منوف ثم إلى "محلة المرحوم"(٣٩)، ثم إلى "النحريرية"(٤٠)، ثم ينتهي بالإسكندرية(٤١).

أما الخط الثاني فكان بريًا محاذيًا للصحراء ويعرف "بطريق الحاجر" ويمر البريدي من خلاله بمراكز بريد: جزيرة القط(٤٢)، ثم إلى وردان(٤٣)، ثم إلى الطرانه(٤٤)، ثم زاوية مبارك(٤٥)، ثم دمنهور الوحش(٤٦)، ثم لوقين(٤٧)، وأخيرًا يضع رحاله في الاسكندرية(٤٨) تابع الشكل السابق.

ج- من قلعة الجبل إلى دمياط وغزة :

وأما الطريق إلى دمياط وغزة فقد أورد ابن فضل الله العمري[٤٩] سردًا لمراكز البريد على هذا الطريق. وهي: سرياقوس – بئر البيضاء – بلبيس – السعيدية وعندها يتشعب الطريق إلى دمياط مارًا بأشمون الرمان (شكل ٥).

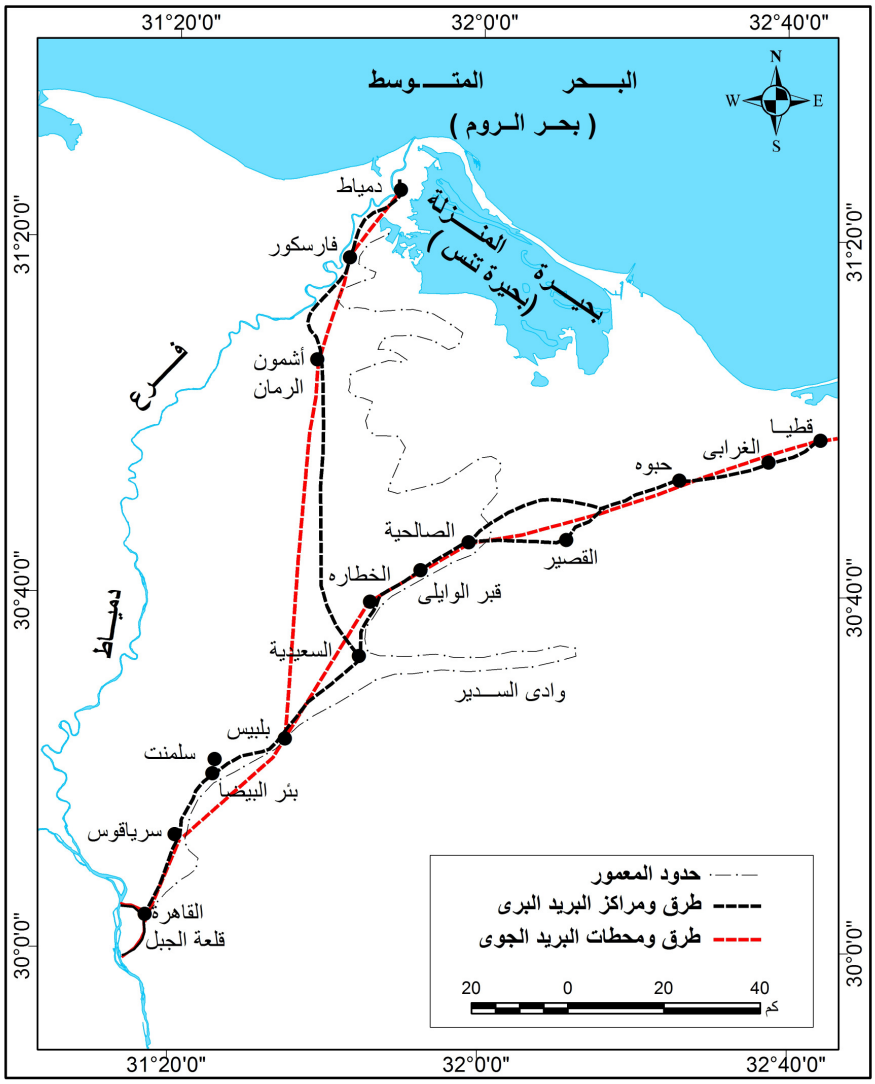

شكل (٥) : طرق ومراكز البريد البري والجوي من قلعة الجبل إلي دمياط وغزة.

أما الطريق الرئيس فيمضي بعد ذلك إلى جهة الخضارة فقبر الوايلي فالصالحية ثم بئر غزي (عفري) فالقصير فحبوة ثم الغرابي فقطيا فصبيحه نخلة معز أو معن ثم المطيلب فالسوداة فالورادة ثم بئر القاضي ثم العريش فالخروبة فالزعقة ثم رفح ثم منها إلى السلقة ثم منها إلى الداروم ثم منها إلى غزة (شكلي ٥، ٦). ونقدم هنا دراسة تحليلية لهذه المراكز على أساس أنها تمثل أهم طرق البريد في مصر المملوكية، ليس هذا فحسب بل أهم طرق مصر عبر العصور، حيث كان بمثابة المدخل الشمالي الشرقي لمصر، أهم الطرق الخارجية على الاطلاق نظرًا لتعدد غاياته وأهدافه، من حربية وسياسية وإدارية واقتصادية وحضارية ... ومثل هذه الغايات المتجمعة على هذا الطريق لا تتحقق في أي طريق أخر، كل هذا فضلا علي أن هذا الطريق لا يدانيه طريق أخر من حيث الاستقرارية التاريخيةعلى مر العصور ... ومن ثم كان الاهتمام بمراكز البريد على طول هذا الطريق أمر ضروري، مما يحقق الغاية من إحكام الدولة لسيطرتها على هذا الطريق.

- **المركز الأول (سرياقوس)** : تقع على مقربة من بلدة سرياقوس (مركز الخانكة/محافظة القليوبية) فينسب إليها، وكان قبل ذلك بالعُش مكان طويل المدى (أي ما بين قلعة الجبل والعش) وفي مكان منقطع (عن العمران) وكان لا تزال تشتكي منه البريدية فصلح بنقله، وحصل به الرفق لأمور لو لم يكن منها إلا قربه من الأسواق المجاورة للخانقاه الناصرية وما يوجد فيها، وأنسه بما حوله(٥٠).

وهنا أفضلية أن تكون المراكز البريدية في منطقة مأمونة، قريبة من القرى المأهولة بالسكان ومراكزها التجارية بما يتواءم وحاجة البريدي ومن يعمل بالمراكز للأنس والأمان كما هو الحال في القرية المذكورة التي عمرها الناصر.

وقد أضاف القلقشندي توضيحًا مفيدًا بشأن نقل المركز الأول من العُش فقال: إن هذا المركز البريدي المنسوب لسرياقوس ليس بهذه البلدة بل بالقرية المستجدة بجوار الخانقاه الناصرية التي أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على القرب من سرياقوس(٥١).

ومعنى ما سبق أن المركز الأول المستجد كان في الخانقاه الناصرية المنسوبة إلى سرياقوس، بهذا يكون طول هذه المرحلة ما بين قلعة الجبل وسرياقوس نحو ٢٥ كم تقريبًا. وأما المحطة السابقة "العُش" فكانت على مدى أطول وفي مكان منقطع.

- **المركز الثاني (بئر البيضا)** : عرفها القلشندي بقوله وهي مركز بريد منفرد وليس حوله ساكنون، ومعنى ذلك أنها مجرد منزل أو محطة متوسطة بين الخانقاه السرياقوسية وبين مدينة بلبيس "المركز البريدي الثالث" وقد حقق محمد رمزي الموضع مستدلاً باسم حوض البيضا الزراعي حوض البيضا رقم ٣ بأراضي ناحية الزوامل (مركز بلبيس/ محافظة الشرقية) حيث توجد عزبة أبو حبيب على مقربة من الزوامل(٥٢).

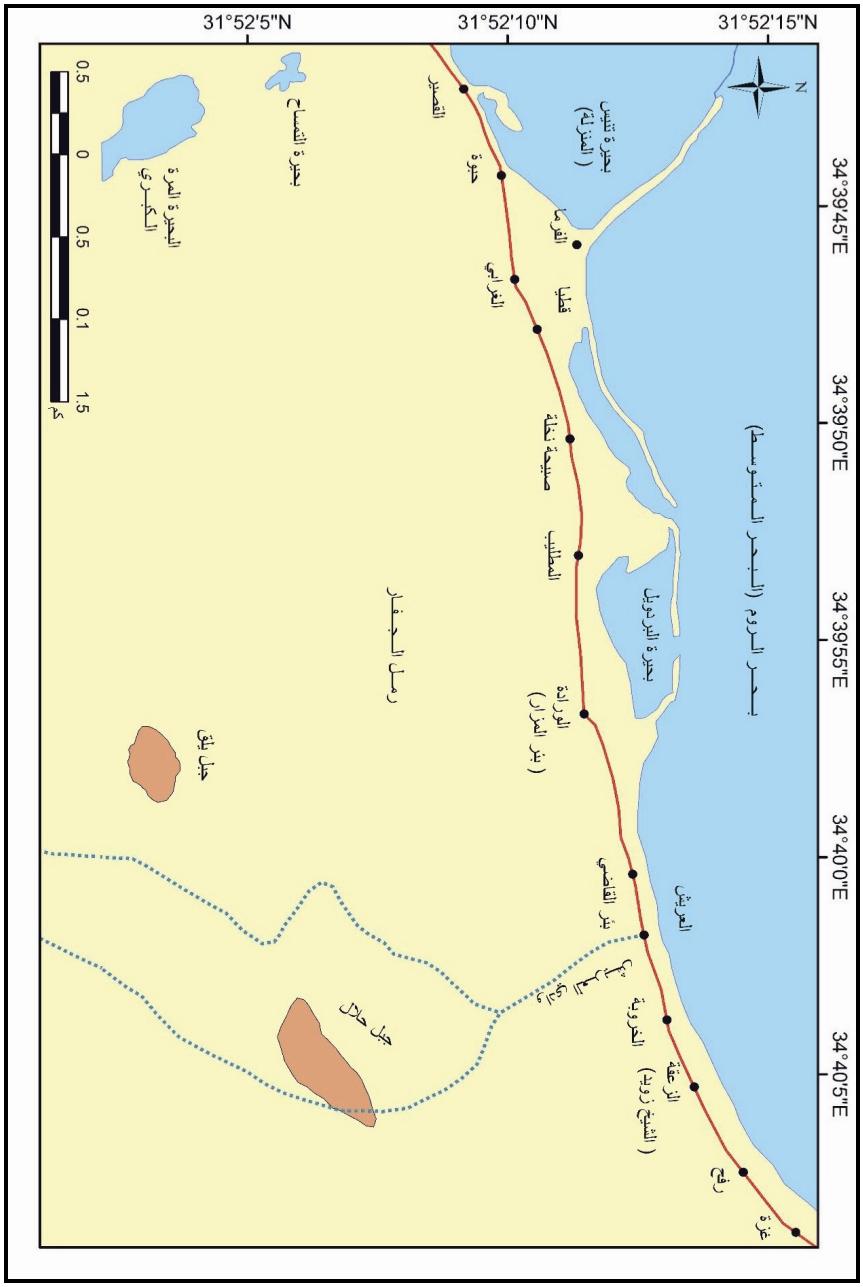

شكل (٦) : طرق ومراكز البريد من قطيا إلي غزة.

- **المركز الثالث: مدينة بلبيس.** قاعدة الأعمال الشرقية وآخر المراكز البريدية السلطانية التي تستفيد من الخيول السلطانية – حيث كانت مراكز البريد السلطانية تبدأ من قلعة الجبل وما بعدها حتى بلبيس – ثم تكون خيول الشهارة هي المستخدمة بعد ذلك في المراكز البريدية التالية حتى الخروبة، وخيل الشهارة هي خيل البريد مقررة على عربان ذوي اقطاعات عليهم خيول موظفة يحضر أربابها عند هلال كل شهر إلى المراكز، وتستعيدها في آخر الشهر ويأتي غيرها فسميت لذلك بالشهارة، وعليهم والٍ من قبل السلطان يستعرض في رأس كل شهر خيل أصحاب النوبة ويدوغها بالداغ السلطاني، أي علامة السلطان وهي خاتمه(٥٣).
- **المركز الرابع (السعيدية)** : أول مراكز خيول الشهارة وهي التي نسبت إلى السعيد محمد بركة، بعد أن عُمرت في عصر والده الملك الظاهر بيبرس البندقداري (سلطان مصر من٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م) وقد حققها محمد رمزي بأنها موضع عزبة السعيدية المعروفة بعزبة الشيخ مطر حنفي الواقعة بقرب فم ترعة السعيدية المنسوبة لهذه البلدة بأراضي ناحية العباسة – مركز أبو حماد – محافظة الشرقية(٥٤).

يلاحظ أن السعيدية كانت بمثابة نقطة تفرع الطريق البريدى البري الرئيسي إلى اتجاهين، الأول إلي غزة وبلاد الشام والآخر إلي مدينة دمياط، ويمكن ارجاع ذلك ربما لوقوعها على مدخل وادي الطميلات كإمتداد عرضي إلى طرق وسط سيناء.

- **المركز الخامس (الخطارة)** : ما زالت تحمل نفس الاسم حتى الوقت الحاضر وهي من قرى مركز فاقوس(٥٥). وقد وردت عند ابن الجيعان(٥٦). وابن دقماق(٥٧) من الأعمال الشرقية وأن مساحتها (٦٠٠) فدان وعبرتها (١٠٠٠) دينار. وهي تقع على أطراف المعمور والهامش الصحراوي لشرق الدلتا وغير بعيدة عن مجرى ترعة السعيدية في نفس الوقت.
- **المركز السادس (قبر الوايلي)** : يذكر العمري(٥٨) أنه استجد به أبنية وسواقي وبساتين حتى صار قرية. ومثل هذا القول يعكس أثر عناية الدولة بمراكز البريد بما يخلق نواة عمرانية لها ظهيرها الزراعي المستقل وبما يتناسب مع المنطقة الهامشية من حيث غرس الأشجار المثمرة في مثل هذه التربة الرملية المختلطة بطمي النيل في الهوامش الصحراوية لشرق الدلتا.

وقد وردت عند ابن الجيعان(٥٩) باسم قبر الوايلي وسلمون كفرها وحدد عبرتها (١٧٠٠) دينار منها (١٥٠٠) لقبر الوايلي وسلمون (٢٠٠) دينار ولم يحدد المساحة بينما وردت عند ابن دقماق(٦٠) دون تحديد للعبرة أو المساحة.

وقد اندثر هذا المركز البريدي وفي موضعه عزبة عياد الواقعة على ترعة السعيدية بأراضي أكياد القبلية – مركز فاقوس بالشرقية – على الضفة اليمني للترعة أقرب ما تكون للهامش الصحراوي(٦١).

- **المركز السابع (مدينة الصالحية)** : آخر المعمور المصري في شمال شرق الدلتا بمركز فاقوس بالشرقية. وقد سبق ذكر نشأتها الحربية على يد الصالح نجم الدين أيوب(سلطان مصر من١٢٤٠:١٢٤٩م) وأنها كانت من أماكن السرحات السلطانية على الدرب السلطاني، ولم يعين ابن الجيعان[٦٢] لها مساحة وحدد عبرتها بأنها (٢٥٠٠) دينار.

وبعد الصالحية يترك الدرب المعمور المصري ويدخل الطريق في النطاق الرملي غير المعمور، وهو نطاق من التكوينات الرملية والسياحات جنوب بحيرة تنيس (كان هذا القسم الجنوبي منها يسمى ببحيرة الزار) ثم يعبر الطريق برزخ السويس وصولاً إلى امتداد نطاق رمل الغرابي حتى قطيا.

- **المركز الثامن (بئر غزي)** : وصفه العمري[٦٣] بقوله "ماؤه مجلوب من بئر وراءه. وواضح أن هذا المركز ليس بالموضع العامر أو المسكون وإنما مجرد منزل، حتى أن الاسم موضع اختلاف في المصادر فعند القلقشندي[٦٤] بئر عفري، وعند العمري بئر غزي. وقد توقف محمد رمزي[٦٥] عن تحديد الموضع فلم يستدل عليه. ومثل هذا الموضع المجهول يمكن تحديد مكانه في موضع متوسط بين الصالحية (المركز السادس) والقصير (المركز الثامن).
- **المركز التاسع (القُصير)** : كان عامرًا بفضل ما أقامه فيه كريم الدين وكيل الخاص الناصري، فقد بنى بها خانًا[٦٦] ومسجدًا ومأذنة وعمل ساقية، فتهدم ذلك كله، ولم يبق له من يجدده، وبقيت المأذنة، وقد رتب لها زيت للتنوير[٦٧] وهذا الموضع هو الذي قتل فيه الملك المظفر قطز (سلطان مصر ٦٥٧:٦٥٨هـ/ ١٢٥٩:١٢٦٠م) عند عودته من الشام بعد هزيمة التتار[٦٨] ومن المرجح أن يكون موضع القُصير غير بعيد عن موضع القنطرة غرب في ظهيرها الزراعي.

ويلاحظ مما تقدم أن وجود الخانات بالقرب من المراكز البريدية يسهم في تلبية حاجة البريدي ومن يعمل في تلك المراكز للراحة والزاد والأمان وغير ذلك.

- **المركز العاشر (حبوة)** : وصف هذا المركز بأنه بلا ماء ولا نبات وإنما هو مجرد موقف تقف بها الخيل "خيول الشهارة" ويجلب إليها الماء من بئر وراءها[٦٩] ولعل تل حبوة القائم إلى الشمال الشرقي من مدينة القنطرة شرق بنحو ٢٠كم يمثل بقايا تلك المنزلة من منازل الطريق.
- **المركز الحادي عشر (الغرابي)** : بعد حبوة وقبل قطيا، وقد تمكن محمد رمزي من الاستدلال عليه عند حوض أبو غرب الواقع إلى الشرق من حبوة، وأن هذا المركز كان يعتمد على مياه الآبار التي لا تبعد عنه كثيرًا[٧٠]. ومن هذه الآبار بئر النص في شرقي الحوض وبئر العسيلة إلى جنوبي الحوض مباشرةً. والطريق في هذه المرحلة قد بدأ يدخل نطاق التكوينات الرملية

باعتبار رمل الغرابي هي أطراف رمل الجفار الغربية المشرفة على سياحات سهل الطينة أي أطراف بحيرة تنيس في امتدادها شرقًا، وحوض أبو غرب في رمال دبة الغرابيات جنوبي الفرما.

- **المركز الثاني عشر (قطيا)** : ذكرها ابن فضل الله العمري بقوله "قرية في الرمل جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات، فأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر[٧١].

وحين نقل القلقشندي ما قدمه العمري أضاف (قرية صغيرة بها تؤخذ المرتبات السلطانية من التجار الواردين إلى مصر والصادرين عنها[٧٢].

وأما ابن دقماق فذكر أن قطيا من الجفار[٧٣]. وهي بلدة بها جامع ومارستان عُمر حديثًا، وبها والي أمير طبلخاناة مقيم بها لأخذ العُشر من التجار وبها قاض وناظر وشهود ومباشرين، ولا يمكن أحد من الجواز من مصر إلى الشام أو من الشام إلى مصر إلاَّ بورقة[٧٤] (تصريح مرور).

ولعل ما قدمه الظاهري في بيان أهمية قطيا ما يفيد فهي عنده أهم منزلة بريدية باعتبارها مزم الديار المصرية وفي ذلك يقول "أما مدينة قطيا فهي مزم الدرب حتى لا يمكن التوصل إلى الديار المصرية إلاَّ منها وبها حرسية وبها نخيل كثيرة ولها ميناء وهي الطينة على شط البحر (البحر المتوسط)" [٧٥].

وفي قول الظاهري بأن قطيا هى مزم الدرب السلطاني الكثير، وذلك لأن الموقع الداخلي للمدينة جعلها على مسار الدرب السلطاني، الذي هو الطريق الرئيسي بين مصر والشام، وكانت قطيا أهم منازل الطريق وأقرب محطاته للمعمور المصري، ومن ثم أصبحت مزم الدرب فلا يمكن التوصل إلى الديار المصرية إلاَّ منها، وعلى ذلك فقد اتخذت مركزًا لأخذ الضرائب المفروضة على التجارة العابرة.

وإذا كانت المنزلة الصالحية هى نهاية مراكز الاستقرار البشري في معمور الشمال الشرقي لشرق الدلتا وبعدها تبدأ سلسلة من مناطق السباخ والسياحات عند أطراف بحيرة تنيس الجنوبية والجنوبية الشرقية، ثم منطقة رمل الغرابي، فإن مدينة قطيا هى أول المدن المصرية القريبة من المعمور المصري علي هذا المحور وبالمثل فإن الطريق الذي يخترق وادي السدير من غربه إلى شرقه حيث بلدة الخشبي تمثل نهاية المعمور المصري في شرق الدلتا، حيث تصل إلى نطاق من الرمال التي تنتهي مع امتدادت الطريق تجاه الشمال الشرقي لتصل إلى مدينة قطيا، التي تكون بهذا مجمع الطريقين الرئيسيين في شرق الدلتا وشمالها الشرقي، حيث تحكمت في هذه المحاور وغيرها من الطرق القادمة من الشرق سواء من فلسطين على الدرب السلطاني أو من شرقي الأردن حيث حصن الكرك.

أضف إلى هذا كون قطيا من واحات الكثبان الرملية الكبيرة نسبيًا في السهل الشمالي لسيناء، والتي اشتهرت بزراعة النخيل، الي جانب وجود ماء المطر المخزون في بطون الكثبان الرملية الكافي للسكان والمارين... كل هذه النقاط مجتمعة جعلت مدينة قطيا مزم الدرب السلطاني.

وقد أعاد الظاهري تناول قطيا كولاية بشمال سيناء يستقر بها بعض الأمراء بتعيين السلطان. وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون (سلطان مصر من ٦٨٩:٦٩٣هـ/١٢٩٠:١٢٩٣م) قد رسم لمتولي قطيا أنه لا يمكن أحد المرور إلاَّ بمرسوم شريف خصوصًا الجند ثم بطل ذلك بعد مدة وأعيد الأمر على ما كان عليه(٧٦).

ويستفاد مما تقدم أن المراكز البريدية قد تشاد بالقرب من الجهات الرسمية التابعة للسلطنة المملوكية كالتي تختص بتحصيل الضرائب الجمركية من التجار الذين يفدون ببضائعهم إلى مصر أو من يقومون بتصديرها إلى خارج مصر، وفي إقامة تلك المراكز البريدية ضرورة ملحة في تبليغ تلك الجهات الأوامر الصادرة عن السلطة المملوكية إزاء ذلك.

- **المركز الثالث عشر (صبيحة نخلة معن)** : قد يقتصر في تسمية هذا المركز على صبيحة نخلة أو معن وهذه التسمية الأخيرة هي التي ذكرها الظاهري، وجاءت التسميات الأخرى عند سابقيه؛ العمري والقلقشندي(٧٧).

ومثل هذه المحطات أو المنازل البريدية في نطاق رمل الجفار سوف يكون من العسير تحديد موضعها على درجة الدقة لضآلة شأنها كمركز استقرار بشري، فقد تكون مجرد منزل للراحة وتغيير خيول الشهاره، وقد أقيمت على مسافات البُرد (البريد حوالي ٢٢ كم) دون أن تكون بالضرورة مركز استقرار بشري.

وإذا كان محمد رمزي لم يستطع تحديد الموضع، فإن نعوم شقير قد قال: بَرصه معين: هي كثيب من الرمل الأبيض على طريق العريش(٧٨).

- **المركز الرابع عشر (المطيلب)** : لعل من المفيد في تحديدها وأهميتها على الدرب أنها كانت من مراكز الثلج من دمشق إلى قلعة الجبل باعتبارها المحطة الوسطى بين الورادة في شرقيها وقطية في غربيها. ومن ثم يمكن توقيعها في منتصف المسافة بينهما(٧٩).

ثم من المطيلب إلى السوادة وقد حولت عن مكانها الأول فصار المسافر لا يحتاج يعرج إليها كما يقول العمري، ويسايره في ذلك الرأي القلقشندي. والسواد أو سواده واضح أنها كانت من المحطات البريدية التي ليست على استقامة الطريق بل كانت منزلة بعيدة عن استقامة الدرب، ولعلها استبدلت لذلك بمركز على الطريق المستقيم خاصة وأنها أقرب ما تكون للوراده التي هي من المراكز الرئيسية. أو لعل المتصور هو إلغاء هذه المنزلة والاكتفاء بالورادة.

- **المركز الخامس عشر (الورادة)** : من أقدم منازل الدرب الدائمة ولذلك لها ذكر في الكتابات الخاصة بالطرق منذ ابن خرداذبة وحتى عصر ياقوت الحموي الذي مر بها في طريقه لمصر فذكر جملة من أحوالها الواردة في النصوص الجغرافية والتاريخية السابقة حتى عصره، ثم ما آلت إليه زمن الحروب الصليبية من تدهور حتى أنها أصبحت أقل مما كانت عليه أحوالها من قبل، ومع ذلك فقد ضمت سوقًا للمتعيشين من أهلها في منازلهم. ولهم مسجد وهناك مبرجة للحمام تكتب الرسائل وتعلق على أجنحتها وترسل إلى مصر بالوارد والصادر بها، وكانت قديمًا فيها جامع وسوق وفنادق. ولعل هذا الوصف ينطبق مع اعتبارها من ثغور مصر ورباطاتها التي يخشى أن يطرقها العدو نظرًا لقربها من الشاطئ ووقوعها على مرحلة من العريش أهم ثغور شمال سيناء.

وفي عصر العمري يذكر الورادة كقرية صغيرة بها المسجد الأشرفي على قارعة الطريق بناه الملك الأشرف خليل قلاوون (سلطان مصر من ٦٨٩:٦٩٣هـ/١٢٩٠:١٢٩٣م)، وبه رفق للمارة وهي مأوى لمبيت السفارة.

وعند ابن دقماق وهو يذكر منازل السفارة في رمل الجفار؛ أشهرها وأكبرها قطيا ثم الواردة وبها سكان ونخيل[٨٠]. ثم عاد فقال أن العمارة بها بقدر قرية وهي في وسط الرمل بين مصر والشام وهي عن العريش في جهة الغرب والجنوب[٨١].

وقد حقق محمد رمزي موضع الورادة بأنها بئر المزار على مسافة ١١٠ كم شرقي مدينة القنطرة وكانت على الخط الحديدي القديم[٨٢]. وقد أطلق عليها على مبارك اسم الباردة[٨٣].

هذا وقد فصل المقريزي القول عنها فقد ذكر أن تاريخ منارتها (جامعها) ترجع على عام ٤٠٨هـ (١٠١٧م) وأن المسجد من إنشاء الحاكم بأمر الله الفاطمي ثم ينقل أخبارها عن القاضي الفاضل في عام ٥٦٧هـ ويقول إن جامعها مازال عامرًا تقام به الجمعة إلي ما بعد ٧٠٠ هـ[٨٤].

- **المركز السادس عشر (بئر القاضي)** : ذكر العمري أن المدى بين الورادة وبئر القاضي طويل جداً يمله السالك[٨٥] وقد حقق محمد رمزي هذا الموضع بأنه عقرة الزول على مسافة ١٠ كم غربي العريش[٨٦].

ويستفاد من عبارة القلقشندي السابقة التي نقلها عن ابن فضل الله أن بعض المراكز البريدية تكون متباعدة، وطريقها يملها البريدي، غالبًا يكون الملل لبعدها عن المراكز العمرانية ومراكزها التجارية وما تتطلبه حاجة الإنسان للأنس بغيره، أو لصعوبة التضاريس أو لسوء الأحوال المناخية أو خلافه، وإن وجود المساجد في الطريق قد يخفف العناء، فقد تستخدم للراحة والمبيت إذا لزم الأمر.

- **المركز السابع عشر (العريش)** : نالها بحكم وظيفتها البريدية الاهتمام فأقيم بها ساقية ترفع الماء إلى سبيل بها، كما تم بناء خان حصين يأوي إليه من ألجأه المساء وينام فيه آمنًا من طوارق الصليبيين[٨٧].

ويلاحظ مما تقدم أن الصليبيين قد يتعرضون للسالكين في بعض الطرق – ومنهم البريدية – وإن الحاجة تستلزم أخذ الحيطة والحذر منهم، وذلك بتوفير المزيد من الرجال الذين يعملون على حفظ الأمن في الطريق وخاصة ليلاً، ومن الوسائل المساعدة في ذلك أيضًا إقامة الخانات التي ينزل بها المسافرون.

- **المركز الثامن عشر (الخروبة)** : وبها الساقية والخان وقد بناهما فخر الدين كاتب المماليك، وهذا المركز هو آخر مراكز العرب الشهارة، ثم ما يليها خيل السلطان ذوات الاصطبلات والخدمة تشتري بمال السلطان وتكلف فيه[٨٨].

ويلاحظ أن الغرض من استبدال الخيل في بداية كل شهر وختمها بخاتم السلطان هو لضبط عدم استخدام ذات الخيول المستخدمة في كل شهر وذلك من أجل ضمان صلاحيتها وجاهزيتها للعمل في نقل البريد طالما هي تستجد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ضمان تقديم العلف الكافي الجيد المخصص من قبل الجهة السلطانية لاسيما أن العرب – كما يقول القلقشندي – قليلة العلف.

ثم مما يليها خيل السلطان ذوات الإصطبلات والخدم تشتري بمال السلطان، وتعلف منه، وأولها الزعقة.

ويبدو من قول العمري أن الخروبة من المراكز العمرانية الحادثة وأنها كانت تعرف قديما بالعش، وقد بنى بها الخان والسبيل وعملت ساقية يجري منها الماء إلى حوض تسقي منه المارة وأن في موضعها أشجار.

ويذكر نعوم شقير عن الخروبة أنها موضع في منتصف الطريق بين العريش ورفح، في أرض متسعة صالحة للزراعة، وهناك خرائب برج قديم مبني بالحجر المنحوت وبجانبه بركة متسعة[٨٩] وهذا يؤكد أقوال ابن فضل الله العمري السابقة عن الخروبة في عصره، وقد وقعها نعوم شقير على خريطته لسيناء.

- **المركز التاسع عشر (الزعقة)** : من المنازل التي بها خيل السلطان وهي من المواضع القديمة التاريخية فقد وردت في معجم البلدان لياقوت الحموي كموضع بين رفح والعريش. وقد مر بها عبد الغني النابلسي عام ١١١٠ هـ فقال عنها "المكان المسمى بالزعقة وليس هناك لا قرية ولا خان ولا عمارة وإنما هي برية قفرة من الرمل، وإنما رأينا هناك قبة بيضاء وعمارة عظيمة مدفون

فيها الشيخ زويد (كان من أعراب البادية) وبالزعقة بئر مالح (ولعل الاسم مشتق من ماءه الزاعق– الماء المر)[٩٠].

ولعل ما ذكره النابلسي يؤيد كون الزعقة هي الحلة السابقة للشيخ زويد الحالية أو أن الشيخ زويد ليس بعيدًا عن موضع الزعقة، وحين نرجع إلى نعوم شقير نجده يذكر قرية الشيخ زويد بأنها تقع على بعد ١٨ ميلاً من العريش وعشرة أميال من رفح، وعلى نحو ميلين من سيف البحر، وقد تأسست على أنقاض بلدة قديمة العهد تدل خرائبها على أنها كانت على جانب عظيم من المدنية والعمران، وهذه المدينة القديمة معظم خرائبها وقبورها على تل إلى الغرب والجنوب الغربي من القرية الحالية، وأما قبة الشيخ فهي إلى شمالي البلدة وعلى مقربة منها جبانة قديمة. وعلى باب القبة حجر رخام يشير إلى أن قيام القبة يرجع إلى عام ١٠٦٣هـ/١٦٥٣م[٩١].

- **المركز العشرون (رفح)** : أول الرمل من جهة الشام وقد كانت عامرة من قبل، ولكنها خربت، ورفح عند ابن دقماق منزلة في طرف الجفار من جهة الشام على مرحلة من غزة[٩٢].

وقد أشار العمري إلى أن بداية حدود مصر الشرقية عند رباط الشجرتين فيما بين الزعقة ورفح وقد أشار إلى زوال الشجرتين، وأن موضعهما شجرة تعلق فيها العوام الخرق[٩٣].

جدير بالذكر أن كثيرًا من الجغرافيين العرب قد اختلفوا فيما بينهم فى تحديد بداية أو نهاية الحد الشرقى لمصر.

فعلى سبيل المثال: ذكر القضاعى (ت ٤٥٤هـ) إن العريش هى ابتداء الحد الشرقى لمصر[٩٤].

فى حين ذكر أبوالفدا (ت ٧٣٢ هـ) أن رفح هى بداية الحد الشرقى لمصر[٩٥] إلى غير ذلك.

وهذا ما دفع القلقشندى (ت٨٢١هـ) إلى تناول هذه الآراء بالدراسة والنقد وخلص إلى القول بأن الحد الفاصل بين مصر والشام حيث الشجرتين وكانتا شجرتين قديمتين، ثم أورد قول العمرى السابق[٩٦].

ويمكن إرجاع أسباب الاختلافات السابقة لتباين المعايير فى التحديد فقد أراد الجغرافيون العرب موضعًا محددًا يكون بمثابة نقطة لالتقاء الحدود بين مصر والشام فكانت الشجرتين عند جمهور الجغرافيين، وأشار البعض إلى أقرب المراكز العمرانية لهذه المنطقة، ومن ثم كانت رفح ومعها العريش وذلك لكونهما محطات مهمة على طول الدرب السلطانى، فالعريش آخرها فى مصر، ورفح أولها فى فلسطين.

ويمكن القول بأن الاعتبارات السياسية كان لها دور مهم فى أسباب الاختلاف السابق، بمعنى تحديد مدى النفوذ السياسى للسلطة الحاكمة فى مصر، وهو أمر غير ثابت فهو متغير تبعًا للظروف السياسية، مثال ذلك ما أورده ابن تغرى بردى مع بداية حكم سلاطين المماليك فى مصر عام ٦٤٨هـ حين وقعت المشاحنات بين السلطان الملك المعز عز الدين أيبك (سلطان مصر من ٦٤٨:٦٦٥هـ/١٢٥٠:١٢٥٧م)، وهو أول ملوك الترك بالديار المصرية والملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى سنة ٦٥٣هـ (ليس المقصود هنا هو صلاح الدين الأيوبي صاحب موقعة حطين، وإنما المقصود هو صاحب الشام وحلب آنذاك الذي خرج من دمشق يريد الديار المصرية ليمتلكها لما بلغه مقتل ابن عمه توران شاه) فمشى الشيخ نجم الدين البادرائى بينهما حتى قرر الصلح بينهما على أن تكون الشام جملة للملك الناصر وديار مصر للملك المعز وبينهما بئر القاضى. وهو فيما بين الورادة والعريش[٩٧].

وهناك سبب جغرافى مهم يمكن إرجاع مثل هذه الاختلافات إليه، وهو طبيعة المنطقة الفاصلة بين مصر وفلسطين فهى تكاد تخلو من المعالم الجغرافية الواضحة وذلك لكونها عبارة من سهل ساحلى متجانس قد جعل من الصعوبة بمكان اختيار موضع له معالمه الجغرافية الطبيعية الواضحة لدرجة أنه أصبح من الصعوبة وضع حدٍّ فاصلٍ بين قارتى إفريقية وأسيا.

٣- مدى اهتمام الحكام بالطرق البريدية :

اهتمت دولة المماليك البحرية اهتمامًا فائقًا بالبريد واتخذت العديد من الإجراءات التي تكفل تحقيق أعلى كفاءة للطرق البريدية، وفي عهد الظاهر بيبرس البندقداري (سلطان مصر من ٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م) وصلت تلك الخدمة إلى معدلات عالية من كفاءة بحيث صار الخبر في عهده يصل بين المركزين الرئيسيين للبريد في كل من قلعة الجبل بالقاهرة ودمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها، كما ترد إليه أخبار المماليك في كل جمعة مرتين[٩٨].

وهذا الاهتمام يعكس مدى ما تحققه طرق البريد من سرعة في نقل أخبار الدولة وما في ذلك من مصالح عدة وأحكام الرقابة على أطراف الدولة فضلاً عن تحقيق أهداف عسكرية عند تعرض الدولة للغزو الخارجي من تنظيم انتقال الجند والأخبار، وفوق كل هذا ما كانت تحققه مراكز البريد من الخدمات للمسافرين والتجار. وعلى سبيل المثال نذكر قول عبد الملك بن مروان لحاجبه حين ولاه الحجابة وأمره بمنع الناس إلا من أربعة ذكر منهم صاحب البريد فقال "فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سنه حبسهم البريد ساعة[٩٩].

لهذا كله ولغيره كان الاهتمام كبيرًا بالطرق البريدية، سواء من حيث إعداد الخيول والهجن اللازمة أو إنشاء مراكز بريدية مزودة بكل ما يلزم صاحب البريد خاصة وجملة المسافرين والتجار عامة.

وكان من بين تلك الإجراءات:

أ- إسناد إدارة البريد إلى ديوان الإنشاء الذي يتولى تنظيم مهام عمال البريد ويتولى الإنفاق على متطلباتهم.

ب- توافر خيل البريد والعناية بها على طول مراكز البريد مما يسهل مهام عمال البريد، حيث كانت هناك الخيول السلطانية وخيول الشهارة كما جاء سابقًا.

ج- إقامة مراكز أو محطات بريدية على امتداد الطرق البريدية يتم من خلالها استبدال دواب الحمل، وقد زودت تلك المحطات بجملة من المرافق المهمة لخدمة المسافرين كالخانات والسواقي المسبلة لرفع المياه حيث يحتفظ بالماء العذب في الأحواض والصهاريج، وهناك الحوانيت التجارية المزودة بكل ما يلزم المسافر، ويقول ابن بطوطة في هذا المعنى "ثم وصلت إلى الصالحية ومنها دخلنا الرمال ونزلنا منازلها، ولكل منزل منها فندق يسمونه الخان ينزل المسافرون بدوابهم، وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشترى منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته".(١٠٠)

د- اهتم الحكام بأن يكون السفر على هذه الطرق آمنًا فأقام سلاطين المماليك في كل طريق خفراء يحفظون المسافرين ولاستتباب الأمن، وفي ذلك يذكر المقريزي(١٠١) أن الطريق فيما بين العريش ومصر كان يمر فيه الواحد بالذهب الكثير والأحمال من الثياب من غير خوف ويذكر أيضًا"إن المرأة تسافر من القاهرة إلى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زادًا ولا ماءً".(١٠٢)

هـ- تزويد المراكز البريدية الرئيسية بأبراج الحمام الرسائلي كأسلوب سريع معاون للأغراض البريدية مما يزيد من فاعلية هذه الطرق.

و- نزول البريدية في أماكن خاصة وذلك لأن ما يحمله البريدي من أخبار يمثل أهمية بالغة للمرسل، والمرسل إليه، ويستلزم الأمر عدم اطلاع الخصوم وغيرهم على فحوى الأخبار، من هنا برزت الحاجة لتوفير أماكن خاصة لنزول البريدية، لضمان عدم اختلاطهم بالناس عند وصولهم وحتى تكليفهم بمهمة جديدة. ومن ذلك: بناء السلطان الملك الظاهر بيبرس (سلطان مصر من ٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م) في جوار دار السعادة من شرقيها دورًا خاصة للبريدية، وأجري إليها الماء ليستغنوا بها عن النزول على الناس(١٠٣) ومنه أيضًا: ما ذكره المقريزي عن نزول البريدية في زمنه بالمدرسة القراسنقرية المنسوبة للأمير قرا سنقر المنصوري

نائب السلطنة، وذكر أنهم لا ينزلون في غيرها حتى يتهيأ سفرهم، وأخبر أن هذا الأمر توقف من سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[١٠٤].

٤- دور قبائل العربان والتركمان في تدعيم جهاز البريد :

من الثابت أن جميع مراكز البريد داخل الحدود المصرية حتى بلبيس، كان يتم إمدادها بالخيول اللازمة لخدمة البريد من قبل السلطان، وفيما يلي ذلك من مراكز البريد على سائر الطرق الشامية كان أمر تزويدها بالخيول يقع في يد قبائل العربان والتركمان التي أدت دورًا فعالا في تدعيم هذا النظام، فبالإضافة إلى قيامهم بنقل أخبار المغول إلى سلاطين المماليك[١٠٥]، وقع على عاتقهم أيضًا مسئولية تقديم خيل البريد لمراكزه منذ عهد الظاهر بيبرس (سلطان مصر من ٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م) الذي أحضر أمراء العربان سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، وأجزل لهم الإقطاعات وألزمهم بحراسة الطرق السلطانية إلى حدود العراق[١٠٦].

وفي سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م واصل بيبرس سياسته التي ترمي إلى استقطاب قبائل العربان والتركمان إلى جانبه ضمانًا لنشر الأمن في ربوع دولته، فزاد في إقطاعات أمراء العربان بالبحيرة، وقبائل العايد وثعلبة، وجذام بالشرقية، وذلك في مقابل حراستهم للبلاد، وتقديم العداد – زكاة مفروضة للسلطان على قطعان القبائل العربية – وخدمة البريد عن طريق تقديم الخيول اللازمة لمراكزه[١٠٧].

هذا وقد وصل عدد العربان القائمين على خدمة هذا الجهاز حوالي ألفا وسبعمائه فارس بالإضافة إلى طائفة أخرى أقل منزلة منهم يسمون "بالمحرمة" كان السلطان يتولى أمر إعاشتهم في مقابل دروكهم (حمايتهم وحفظهم) لحوالي خمسة عشر مركزًا بالطريق المصري الشامي، يبدأ أولها بمركز "السعيدية" وينتهي على حدود بلاد الشام عند رفح[١٠٨]، غير أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً إذا سرعان ما ارتفعت أصواتهم بالشكوى من اتساع هذا الدَرك، مما جعل الناصر محمد بن قلاوون (سلطان مصر في ولايته الثانية من ٦٩٨:٧٠٨هـ/١٢٩٨:١٣٠٩م) يسقط عنهم في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م مركزين هما رفح والزعقة[١٠٩]، فصار آخر دركهم مركز الخروبة[١١٠].

وعلى هذا النحو صارت مراكز البريد التي تقع مسئوليتها على قبائل العربان بالشرقية تبدأ من السعيدية، ثم على الخطارة، ثم قبر الوايلي، ثم الصالحية، ثم بئر غزي، ثم القصير، ثم إلى حبوة.، ثم إلى الغرابي، ثم إلى قطيا، ثم إلى "صبيحة نخلة معن، ثم المطيلب، ثم السوادة[١١١]، ثم الورادة، ثم إلى بئر القاضي[١١٢]، ثم إلى العريش، ثم ينتهي إلى آخر مراكز خيل الشهارة وهو مركز

الخروبة[١١٣]، وفيما يلي هذه المراكز تكون خيل البريد على السلطان تشتري بماله الخاص وتعلف منه، وأولها الزعقة، ثم رفح، ثم السلقة[١١٤]، وهو مركز بريد مستجد أقيم بدلاً من مركز "بئر طرنطاي" لتوفير الراحة للمسافرين، ثم تنتهي بغزة[١١٥].

ونظرًا لأن الطريق البريدي المار بصحراء سيناء ووصولاً إلى غزة كان شديد الأهمية، لذا فقط ألزم سلاطين المماليك البحرية قبائل العربان بحفظه زيادة في الحذر والاحتياط، وخوفًا من العيون والجواسيس وذلك عن طريق مسح الرمال به أثناء الليل بحيث لا يبقي به أدنى أثر، ثم يأتي أمير العربان في الصباح، فإن وجد به أثر طالب العربان بإحضار صاحبه، فلا يزالون به حتى يحضرونه فيعاقبه كيفما شاء[١١٦].

ومن المرجح أنه كانت لكل قبيلة من قبائل العربان اختصاصات محددة سواء لحفظ الطرقات، أو لإمداد مراكز البريد بالخيول، فقد ألزم الظاهر بيبرس (سلطان مصر من ٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م) عرب "بني مهدي" بحفظ وتأمين الطريق بين مصر وبلاد الحجاز[١١٧]، كما تولى عرب "بني سلمان" تأمين طريق شبه جزيرة سيناء[١١٨]، كما يبدو واضحًا أن قبائل العربان كانت أيضًا مسئولة عن سلامة الطرق المتجهة من مصر جنوبًا حتى السودان، بيد أن تلك القبائل لم تكن تتلقى إقطاعات جزيلة مثل نظيرتها على طريق البريد المصري – الشامي[١١٩].

على أن الدور الأكبر في خدمة جهاز البريد لعبته قبائل العايد وثعلبة وجذام، حيث التزمت كل منها بإمداد مراكز البريد الخمسة عشر فيما بين السعيدية والخروبة، بحوالي مائة وخمسين فرسًا من خيل البريد وذلك بمعدل عشرة أفراس في كل مركز، ومراقبة من يسيرون فيها حتى قلعة الجبل بالقاهرة خشية أن يكونوا من الجواسيس والأعداء[١٢٠].

وإزاء حماس العربان في ازدهار نظام البريد، كان على سلاطين المماليك البحرية الإكثار من منحهم الإقطاعات الجزيلة، ضمانًا لاستمرارهم على الطاعة والقيام بدورهم الفعال في تأمين الطرق والدروب الصحراوية أمام المسافرين وخاصة طريق الحج[١٢١]، وكان على العربان في المقابل القيام بخدمة خاصة تجاههم وهي تخصيص ألف من الإبل لخدمتهم وحمل أمتعتهم أثناء توجه موكبهم إلى بلاد الشام[١٢٢].

٥- استخدامات البريد البري :

حظيت الطرق البريدية بعناية ورعاية الدولة- خاصة زمن سلاطين المماليك البحرية- نظراً لما كان لذلك من أهداف سياسية وإدارية وتجارية للدولة، وذلك لكونها وسيلة سريعة وفعالة ومأمونة.

لقد كان البريد يستخدم في زمن المماليك في كثير من الأمور المهمة التي تحتاجها السلطنة وخاصة في تصريف العاجل من الأمور، وتتنوع الاستخدامات بحسب ما تتطلبه الحاجة، وفيما يلي بعض استخدمات البريد:

أ- نقل الأخبار المتعلقة بالسلطان.

ب- ارسال البريد لتنفيذ مهام عقابية.

ج- استدعاء شخص مهم أو تسفيره على البريد.

د- إرسال التقاليد للنواب.

هـ- إرسال مراسيم العزل عن الوظائف.

و- بريد التجسس.

ز- الوقوف على الأخبار والحوادث المهمة في السلطنة المملوكية.

ولنأخذ نماذج من هذه الاستخدامات للبريد :

- **الاستخدام الأول (نقل الأخبار المتعلقة بالسلطان نفسه)** : وهي أيضًا متنوعة: فمنها متعلق بجلوسه على كرسي السلطنة وأخذ البيعة له، ومثاله: أن البشائر دقت، ونودي بالقاهرة ومصر بسلطنة الملك المنصور محمد بن حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، وسارت البريدية في البلاد تخبر بهذا الحدث.(١٢٣)

ومنها ما هو متعلق بحروبه مع الأعداء، وأمثلة ذلك: مجيئ البريد مخبراً بوصول السلطان الناصر محمد بن قلاوون (سلطان مصر في ولايته الثانية من ٦٩٨:٧٠٨هـ/١٢٩٨:١٣٠٩م) وجيشه إلى الشام لملاقاة جيش التتار في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م.(١٢٤)

وهكذا أدى جهاز البريد دورًا فعالا خلال المعارك والفتوحات الحربية ضد المغول والصليبيين في العصر المملوكي البحري، حيث وقع على عاتقه نقل أخبار إغارتهم المستمرة على حدود الدولة المملوكية، وكذلك خططهم القتالية، إلى مقر السلطة المركزية بقلعة الجبل بالقاهرة، وهو ما أعطى لسلاطين المماليك حق المبادرة في مباغتتهم أثناء تلك المعارك، وإحراز النصر الذي يترتب عليه سريان الطمأنينة بين كافة طبقات الشعب.

- **الاستخدام الثاني (استدعاء شخص مهم أو تسفيره على البريد)** : ويكون ذلك لأسباب مختلفة، منها: الطلب أو التسفير بقصد العقوبة، كأن يكون ممن صدرت في حقهم عقوبات تستدعى حضورهم لتنفيذها عليهم، وأمثلة ذلك: قدوم البريد في شهر شعبان من سنة

٧٣٣هـ/١٣٣٢م بإحضار محمد بن صدقة الأعسر والي المنوفية، فسار إليه البريد وأحضره إلى القاهرة، فهرب.(١٢٥)

- **الاستخدام الثالث (بريد التجسس)** : من الغايات المهمة للبريد على مر العصور التاريخية ما يسمى ببريد التجسس، حيث حرص سلاطين المماليك على الاستعداد جيدًا للمغول والصليبيين عن طريق بث القصاد والجواسيس داخل صفوفهم، مدنهم، وفي أطراف ممالكهم لموافاتهم بإستمرار بما يتجدد من أخبارهم، من قبيل استعداداتهم الحربية واتصالاتهم السياسية، كما استخدم البريد في التجسس على النواب والعمال في سائر أرجاء الجهات للتعرف على مدى انقيادهم للدولة، ونظرًا لتقلب الأحوال السياسية واضطرابها في زمن المماليك، وما ينجم عنها من دسائس تحاك في الخفاء للسلاطين من قبل الأمراء والنواب وخاصة الطامحين منهم إلى السلطة، فضلاً عن ما تحوط السلطنة من جهات خارجية طامعة في تقويض أركانها واقتطاع أجزاء من أراضيها، فإن الأمر يتطلب وجود هذا النوع من البريد الذي يتسم بالسرية في التداول، ورجاله من البريدية تبيعتهم المطلقة للسلطة الحاكمة.
- **الاستخدام الرابع: الوقوف على الأخبار والحوادث المهمة في السلطنة المملوكية بصفة خاصة، أو ما يحدث خارجها**، وهي بالطبع كثيرة، وأجل من أن تحصى، فقد تكون كارثية، أو تنذر بوقوع الأزمات، وأمثلة ذلك: قدوم البريد إلى دمشق من مصر في سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، يخبر أن الأمراض بالحميات انتشرت في مصر في جمادي الآخرة، واستمرت إلى آخر شعبان، فمات خلق كثير.(١٢٦)

٦- تدهور مراكز البريد البري وانقطاعه بين مصر وبلاد الشام :

لم يكد الناصر محمد بن قلاوون (سلطان مصر في ولايته الثالثة من ٧٤٣:٧٤٣هـ/ ١٣٤٢:١٣٤٢م) يسقط طريح الفراش رهين مرضه الذي توفى فيه، حتى ظهرت بوادر الفوضى في بعض أنظمة الدولة الإدارية، وقدر لإدارة البريد أن تبدأ طور الاضمحلال السريع، بعد أن كانت الوسيلة الرئيسية لسيطرة الحكومة على الولايات.

وطالعتنا المصادر المملوكية لأول مرة بظاهرتين جديدتين طرأتا على تلك المؤسسة، الأولى هي تطرق الاختلال والاضطراب إلى مراكز البريد، والثانية هي منع ورود البريد بين القاهرة وبلاد الشام.

فقد شهدت الدولة أول تدهور أصاب مراكز البريد في سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م(١٢٧). بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون، بعد أن كان النظام يسيطر عليها منذ عهد بيبرس البندقداري (سلطان مصر من ٦٥٨:٦٧٦هـ/١٢٦٠:١٢٧٧م)، ولم يقف سلاطين المماليك مكتوفي الأيدي أمام تلك الظاهرة، بل حاولوا إيجاد بعض وسائل العلاج لها من إصدار مراسيم وغيرها كما سنرى بعد قليل،

ومع تكرار هذه الاضطرابات، كان لابد لسلاطين المماليك من دراسة أسباب تلك الظاهرة وإيجاد وسائل العلاج الفعالة لها، خاصة وأن عواقبها كانت وخيمة حيث أمسى جهاز البريد منذ ذلك الوقت وحتى نهاية دولة المماليك البحرية عظامًا نخرة تنتظر بعض الرياح التي قد تطيح به، فجاءته من الشرق رياح تيمورلنك التي جعلت مراكز البريد أثراً بعد عين.

وقد أوردت لنا بعض المصادر المملوكية الأسباب الرئيسية لهذه الظاهرة الفريدة، والتي تمثلت في عنصرين أساسيين، **الأول** هو فساد العربان بشكل منقطع النظير عقب وفاة الناصر محمد بن قلاوون، بعد أن افتقدوا القبضة القوية التي كانت تضرب على أيديهم بيد من حديد، فأخذوا يعيثون في الأرض فسادًا، يستولون على القوافل التجارية، ويقطعون الطرقات على المسافرين والبريدية نهارًا جهارًا، وذلك على النقيض تمامًا من أحوالهم خلال عصر سلاطين المماليك الأوائل الذين كانوا يتعاملون معهم بالرغبة تارة، والرهبة تارة أخرى، لذا لم تكن أصواتهم ترتفع كثيرًا، بل كانت أجل خدماتهم هي تأمين الطرقات للمسافرين سواء كانوا تجارًا أو بريدية أو غيرهم، ومن يخالف ذلك منهم كان يتعرض للعقاب الرادع من قبل سلاطين المماليك، ففي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م وصلت الأخبار إلى الظاهر بيبرس بأن العربان كثر فسادهم وزادت شوكتهم، وأخذوا في الإعتداء على التجار والاستيلاء على بضائعهم كما شرعوا في القبض على البريدية في وضح النهار، فلم يجد وسيلة أمامه سوا استعمال القوة ضدهم، فأرسل إليهم الجيوش الشامية، فجعلت مساكنهم لا ترى بعد أن صارت أثراً بعد عين وزالت شوكتهم والتزموا الطاعة الكاملة للظاهر بيبرس.(١٢٨)

أما في فترة حكم أولاد الناصر محمد بن قلاوون وأحفاده (٧٤١-٧٨٤هـ/١٣٤٠-١٣٨٢م) فقد استقر على عرش مصر ثمانية أولاد وأربعة أحفاد، وبلغ متوسط حكم السلطان الواحد منهم ثلاث سنوات ونصف السنة، لسهولة خلعه على يد أمراء المماليك في مصر، ولظهور نفوذ الأتابكة ظهورا واضحًا، واشتداد التنافس بين الأمراء على النفوذ وجعلهم السلطان ألعوبة في أيديهم يعزلونه أو يبقونه حسب مشيئتهم لذا ضعفت الدولة المملوكية عقب وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون (سلطان مصر في ولايته الثالثة من ٧٤٣:٧٤٣هـ/١٣٤٢:١٣٤٢م)، واضطربت أحوالها وكثرت الفتن والقلاقل في جميع أرجاءها.(١٢٩)

وزادت شوكة العربان وكثر قطعهم الطرقات على المسافرين، رغم إصدار العديد من المراسيم الموجهة إليهم، والتي تحظر عليهم التعرض للتجار والحجاج وغيرهم، إلا أنهم ضربوا بها عرض الحائط، واستمروا في فسادهم. وفي سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م امتد فساد العربان إلى الصعيد وإقليم الفيوم.(١٣٠)

ولم يكتف العربان بفسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين، بل عمدوا إلى استخدام خيل البريد المقررة بالمراكز بكثرة، وفي أغراض أخرى شتى، رغم أنها كانت مخصصة لنقل البريد فقط،

ناسين أن دورهم الرئيسي هو إمداد تلك المراكز بما تحتاجه من "خيل الشهارة"، وليس الاقتراض منها، فقد أدى سحبهم لخيول البريد من مراكزها إلى نقصانها في أول كل شهر، وهو ما أصاب سير العمل في تلك المراكز بالفوضى فأدى إلى اختلالها.(١٣١)

أما **العنصر الثاني** الذي أدى إلى اختلال مراكز البريد فهو متعلق بالتجار الذين اتجهوا بدورهم إلى استخدام خيل البريد بكثرة في نقل بضائعهم وتجارتهم مما أدى إلى إجهادها وهلاكها لأن تلك الخيول لم تكن مخصصة لحمل البضائع الثقيلة، بل اقتصرت على حمل ساعي البريد ومتعلقاته فقط، ويؤكد ما ذهبنا إليه أن الظاهر بيبرس حينما دخل في مفاوضات الصلح مع المغول، أرسل من قبله سفارة من الرسل على خيل البريد، وعندما اجتمع هؤلاء الرسل بمقدم عساكر المغول اعتذروا إليه أولاً عن قلة هذه الهدايا لأنهم "حضروا على خيل البريد"(١٣٢). وهو مالا يدع مجالاً للشك بأن خيل البريد لم تكن لتحمل فوق طاقتها ولذلك كان اشتراك التجار مع العربان في استخدام خيل البريد في غير أغراضها، أكبر الأثر في أحداث نقص لتلك الخيول بمراكز البريد مما أدى إلى إصابتها بالاضطراب.

وحقيقة لم يأل سلاطين المماليك جهدًا في إيجاد بعض الحلول لهذا الخلل الذي أصاب الجهاز الإعلامي للدولة وذلك كلٌ على طريقته الخاصة، فالناصر محمد بن قلاوون رغم المرض الذي ألم به أصدر مرسومًا في سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م عقب الخلل الأول، يقضي بعدم ركوب خيل البريد إلا بإذن منه ويكون مع ذلك الشخص ما يثبت ذلك(١٣٣).

أما السلطان الصالح عماد الدين إسماعيل (سلطان مصر من ٧٤٣:٧٤٦هـ/١٣٤٢:١٣٤٥م) فقد واجه تلك المشكلة بحزم شديد، حيث رصد لهذا الخلل الذي أصاب مراكز البريد في سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م حوالي ثمانمائة فرس من أفراس البريد لسد النقص في عددها بالمراكز(١٣٤).

أما بالنسبة للظاهرة الثانية التي تعد أيضًا سابقة أولى من نوعها في عصر دولة المماليك البحرية فهي قطع البريد بين القاهرة وبلاد الشام، وقد حدثت في أعقاب وفاة الناصر محمد بن قلاوون (سلطان مصر في ولايته الثالثة من ٧٤٣:٧٤٣هـ/١٣٤٢:١٣٤٢م) حين عمت الفوضى وكثرت الفتن والمؤامرات بحيث لم يعد لطموح الأمراء حد سوى عرش السلطنة. على سبيل المثال في سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، في عهد السلطان الكامل سيف الدين شعبان (سلطان مصر من٧٤٦:٧٤٧هـ/١٣٤٥:١٣٤٦م) انقطع البريد بين القاهرة وبلاد الشام نحو عشرين يومًا، وهو ما لم يعهد حدوثه من قبل(١٣٥).

الخلاصة أن الخلل الذي أصاب مراكز البريد كان بمثابة اللبنة الأولى في بداية تدهور هذا النظام، كما أنه نتيجة حتمية للفوضى التي عمت البلاد عقب وفاة الناصر محمد بن قلاوون، حيث دخل الأمراء في نزاع فيما بينهم لنيل شرف الوصاية على السلطان الذي كان صغير السن لا حول له ولا قوة، مما أدى إلى ازدياد شوكة العربان فعاثوا في البلاد فسادًا وقاموا بقطع الطرقات على

المسافرين، كما أدى هذا النزاع إلى إقدام نواب السلطنة ببلاد الشام على شق عصا الطاعة على السلطان، ولم يكن يتسنى لهم ذلك إلا بقطع البريد بين القاهرة ودمشق، وقد يبدو واضحًا أن وسائل علاج سلاطين المماليك لهذا الخلل كانت وقتية وتؤتي ثمارها لفترة محدودة، لكنها لم تكن لتقض عليه بدليل تكرار حوادث الخلل أكثر من مرة، ويؤكد ما ذهبنا إليه أن آخر قطع للبريد بين القاهرة وبلاد الشام كان في سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م أي في نهاية العصر المملوكي البحري.

٢) البريد الجوي :

ومن لواحقه الحديث عن نوع الحمام المستخدم، والأبراج المخصصة له، ونماذج لاستخدام المراسلات عبر بطائق الحمام، كما يلي:

١- الحمام الرسائلي :

الحمام اسم جنس يقع على الحمام المتداول بين الناس، والمقصود عند ذكر الحمام هو نوع مخصوص، وأغلاه قيمة، وأعلاه رتبة، يسمى بالحمام الرسائلي، وهو الذي يتخذه الملوك لحمل المكاتبات[١٣٦].

وأغلب الظن أن مطارات الحمام الزاجل كانت تماثل خطوط خيل البريد البري إلا أنها تزيد عليها في المسافة، حيث تصل المسافة بين كل برج وآخر من أبراج الحمام الزاجل إلى ثلاثة أمثال مراكز البريد البري[١٣٧].

٢- أبراج الحمام :

وضع لأبراج الحمام في العصر المملوكي البحري من القواعد والطرق على نحو مشابه لما في مراكز البريد البري، ولقد كانت أبراج الحمام الزاجل قبيل العصر المملوكي متصلة من قلعة الجبل بالقاهرة إلى قوص وأسوان وعيذاب في الوجه القبلي، غير أن التدهور عرف طريقة إليها، وصارت أثراً بعد عين منذ منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[١٣٨]، ولم يتبق منها سوى برج الحمام ببلدة "الملالية" بإقليم الفيوم، والذي ظل يؤدي مهمته الإعلامية مع قلعة الجبل بالقاهرة، حيث وجد له برج مقابل خارج القاهرة وهو برج البرقية[١٣٩]، وعن طريقهما كان يتم التراسل بين قلعة الجبل بالقاهرة وإقليم الفيوم في الوجه القبلي[١٤٠].

أما بالنسبة للوجه البحري فلم يتبق من مطاراته سوى خطوط البريد الجوي المتجهة من القاهرة إلى كل من إسكندرية ودمياط والسويس وبلبيس.

ومن البرج الأخير كانت تستكمل مطارات الحمام إلى سائر النيابات ببلاد الشام (راجع شكل ٥). فمثلاً إذا أراد السلطان إرسال بطاقة على جناح الحمام إلى بلاد الشام، فإنها كانت تشق طريقها من

قلعة الجبل إلى بليس، ثم إلى الصالحية، ثم إلى قطيا، ثم إلى الورادة، ثم إلى غزة، والتي تتفرع منها مطارات الحمام إلى بلاد الشام(١٤١).

ومن الثابت أن أبراج الحمام الزاجل ظلت قائمة طوال العصر المملوكي البحري في مصر وبلاد الشام إلى أن تهاوت تحت وطأة ضربات المغول وتخريبهم لأبراج الحمام، ومراكز البريد البري سويًا في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بقيادة تيمورلنك(١٤٢)، ومنذ ذلك الوقت بطل أمر الحمام الزاجل في مصر، عدا ما كان ينقل من قطيا إلى بلبيس، ومن بلبيس إلى قلعة الجبل بالقاهرة(١٤٣)، أما الأبراج فيما بين مصر وغيرها من بلاد الشام، فقد ظلت قائمة دون تغيير سوى بعض التعديلات الطفيفة كإحلال برج محل آخر أو تشييد بعض الأبراج الجديدة على امتداد طريق البريد السلطاني.

بقى أخيرًا أن نشير إلى أهم أبراج الحمام الزاجل في العصر المملوكي البحري، والتي كانت على درجة كبيرة من الأهمية، ويأتي على رأسها جميعًا "برج المطار"(١٤٤). بقلعة الجبل بالقاهرة، الذي كان يمثل بؤرة جميع مطارات الحمام الزاجل المصرية والشامية إبان ذلك العصر، وجدير بالذكر أنه تجري به الآن ترميمات واسعة النطاق لإعادته إلى حالته الطبيعية والمحافظة على تخطيطه المعماري.

وهناك أيضاً برج الحمام الزاجل بقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون في جنوب سيناء، والذي كان يمثل همزة الوصل بين بلاد الشام وبين قلعة الجبل بالقاهرة، وقد أدى دورًا فعالاً في العصر الأيوبي، في القضاء على نفوذ الصليبيين، ففي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م قام "أرناط" أمير حصن الكرك الصليبي بتجهيز حملة بحرية للاستيلاء على الجزيرة وقلعتها، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وظلت الجزيرة صامدة أمام ضراوة الحصار البحري، وفي نفس الوقت قامت الحامية العسكرية الموجودة بالقلعة بإبلاغ الموقف إلى القاهرة عبر طريق الحمام الزاجل، فقام الملك نائبًا عن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي كان بالشام آنذاك – بإعداد أسطول حربي وشحنه بالمقاتلين وأبحر حسام الدين لؤلؤ الحاجب، وألحق بالأسطول الصليبي الذي يحاصر "جزيرة فرعون" هزيمة قاسية(١٤٥).

هذا ويقع برج الحمام الزاجل ضمن تحصينات القلعة الشمالية والتي تتميز بأبراجها الحصينة، وقد شيد فوق ربوة عالية ضماناً لسهولة طلب الحمام لوكره فور رؤيته، والبرج في مجمله مبنى بسيط مستطيل الشكل، ومقسم من الداخل إلى أربعة أقسام تحتوي أغلبها على عيون غائرة في حوائطه كانت تستخدم لمبيت الحمام الزاجل، بالإضافة إلى فتحة واسعة للتهوية، والموضع الحالي غير

مسقوف وإن كان من المرجح أنه كان مسقوفًا في ذلك العهد لوجود فتحة التهوية من ناحية، ولسهولة السيطرة على الحمام الزاجل من ناحية أخرى.

خلاصة القول أن سلاطين المماليك البحرية قاموا بربط الدولة بشبكة جيدة من مطارات الحمام الزاجل وكانت القاهرة هي المقر الرئيسي لتجمع هذا الحمام والذي عن طريقه ثم حفظ حدود الدولة من غارات المغول والصليبيين خارجيًا ومن حركات التمرد والعصيان داخليًا.

٣- نماذج من استخدام المراسلات عبر بطائق الحمام :

تستخدم بطائق الحمام في أغراض كثيرة نذكر منها:

- **الاستخدام الأول (لغرض حربي)** : ومن أمثلته: أنه بعد انتصار المماليك على التتار في حمص سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م كتبت البطائق وطارت بها الأطيار الأيامن محلقة، تبشر بهذا النصر، وتدعو أهل الحصون القريبة من مسالك التتار التي سلكوها للفرار، بأن يأخذوا لهم المراصد، ففعلوا ذلك لما وصلتهم البطائق وقتلوا من التتار الكثير(١٤٦).
- **الاستخدام الثاني (الإخبار عن خطب جلل)** : من ذلك وقوع بطاقة في سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م كتبت عن بيدرا (نائب السلطان الاشرف قلاوون) تخبر بأن السلطان – الأشرف صلاح الدين خليل قلاوون – قتل، وتسلطن بيدرا(١٤٧).

الخاتمة :

وبعد، فإن البريد في زمن سلاطين المماليك البحرية كان له دورًا فاعلاً في تسيير أمور السلطنة، بحيث أن أحوالها لا تتم إلا به، ولا يمكننا بحال أن نتخيل بقاء الدولة بدونه، وإذا سلمنا جدلاً بتدهور أحواله في فترة ما من عمر السلطنة المملوكية – حسب ما ذكره بعض مؤرخي العصر – إلا أن طول عمر هذه السلطنة يعطينا دلالة أكيدة على بقاء دور البريد المهم، كما أن العدد الكبير للمراكز البريدية، وكثرة استخدامات البريد المختلفة تعطينا إشارات قطعية على عناية سلاطين المماليك بالبريد ونظامه.

هوامش البحث

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، نشر جمعية المستشرقين الألمانية، دار فرانز شتايز، فيسبادن ١٩٨٣، ص ٣١٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣، ج١٤، ص ٣٧٠.

(٣) أمير طبلخاناه: أى أمير تدق الطبول والأبواق على أبوابه. وهو أمير تحت أمرته أربعين فارس، أمير من الطبقة الثانية. ويكبيديا الموسوعة الحرة " القاب ومصطلحات مملوكية.

(٤) شاد اسم فاعل من شدّ بمعنى قوى أو أوثق. وقد شاع استخدام هذا اللفظ فى دولة المماليك للدلالة على موظف كان له حق التقوية وما يتبع ذلك من سلطات السيطرة والمراقبة والإشراف والتفتيش والمعاونة والتوجيه والتعمير والاستثمار وغير ذلك. انظر حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ص ٦٠٤-٦٠٥.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣- ١٩٧٢، ج١٦، ص ٧٥.

(٦) انقسمت فترة حكم سلاطين المماليك إلى دولتين على النحو التالى:

- دولة المماليك الأولى (البحرية): من (٦٤٨ هـ، ١٢٥٠م/٧٨٤ هـ، ١٣٨١م) وهى التى شهدت ازدهار وقوة عصر سلاطين المماليك، والاهتمام بكافة النواحى الاقتصادية من الاهتمام بمشاريع الرى وشق الترع وإقامة الجسور وصيانتها.. الخ.
- دولة المماليك الثانية (الشراكسة): من (٧٨٤ هـ، ١٣٨٢م/٩٢٣هـ، ١٥١٦م). وهى الدولة المعروفة فى التاريخ بدولة الشراكسة المماليك الذين لم يكونوا من ترك آسيا العليا. واتسمت هذه الدولة بعدم الاهتمام بمشاريع الرى بجميع جوانبها، بالإضافة إلى سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد، مع انتشار الأوبئة والمجاعات. انظر:

أ- غوستاف لوبون: مرجع سبق ذكره، ص ص ٢١٧-٢١٨.

ب- عبد الرحمن الرافعى، سعيد عاشور: مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٧.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ج١٤، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧٠.

(٨) نظير حسان سعداوي، البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٣، ص ١٩.

(٩) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٨، ص ٢٣٩.

(١٠) سعداوي:١٩٥٣، مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

(١١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٣، جـ١، ص١١٤؛ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: يوسف خياط، نديم مرعشلي، بيروت ١٩٥٥، جـ١، ص ١٨٩.

(١٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، القاهرة، ١٣٤٢هـ، ص ٤٢؛ ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٩.

(١٣) كلمة فارسية من "بروانه"، وقد اختصت بالبريد، فيقال "قرانق البريد" أي صاحب البريد الذي يحمل الخرائط على الطريق انظر، الخوارزمي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢.

(١٤) ومعناها الساعي أو الرسول الذي يمشي على قدميه، وقد لعب هؤلاء الفيوج دورا حيويا في جهاز البريد بمصر خلال القرن الرابع الهجري، للمزيد انظر، النيسابوري، السامي في الأسامي، نشر: محمد موسى هنداوي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٩٢.

(١٥) سعداوي: ١٩٥٣، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(١٦) الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، نشر بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤، ص ص١١٦، ١١٨.

(١٧) العمري:١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٩. القلقشندي: مرجع سبق ذكره، ج١٤، ص ٣٧٢.

(١٨) صارم الدين أوزبك، رسالة في غزو التتار، سوريا ١٢٦٠م، تحقيق، Levi Dell. ضمن دورية Orientalia, 4, (1935), p. 365، وبخش الفأر هو المكان الذي إذا عبر الفأر من خلاله لا يخرج إلا منه.

(١٩) سعداوي: دولة البرين والبحرين، المجلة التاريخية المصرية، العدد ١٣، ١٩٦٧. ص ١٣٩.

(٢٠) سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٣٨.

(٢١) ابن شداد: مرجع سبق ذكره، ص ٣١٣.

(٢٢) بلدة من أملاك السلطان وتتبع إقليم الجيزة انظر، ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، بولاق، القاهرة، ١٨٩٣، ص ١٣٢.

(٢٣) بلدة صغيرة على ساحل النيل وتتبع حاليًا العياط. انظر محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، القسم الثانى، البلاد الحالية، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٤٧.

(٢٤) بلدة تابعة لإقليم البهنسا انظر، ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، بولاق، القاهرة، ١٨٩٨، ص ١٧٣.

(٢٥) إحدى قرى الصعيد كانت تابعة لإقليم البهنسا وتتبع حاليًا مركز ببا، انظر، ابن الجيعان: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٣؛ محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق٢ حـ٣، ص ١٣٧.

(٢٦) بلدة تتبع إقليم أطفيح، وتتبع حالياً مركز سمالوط وقد ذكرها كلاً من/ ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص١٠؛ ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره، ص١٧١ على أنها "قلونسا" وتعرف أيضا "بقلوصنا".

(٢٧) مدينة كبيرة عامرة على شائ النيل تتبع إقليم الأشمونيين انظر ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص ٢١.

(٢٨) ويقال أيضاً "دروة سربام" وهي بلدة تابعة لإقليم منفلوط انظر، ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص ١٩.

(٢٩) بلدة تابعة لإقليم أسيوط انظر، ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص ٢٤؛ ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٧.

(٣٠) ويقال لها أيضًا المرائغ "وهي تابعة لإقليم "إخميم" وتتبع حالياً مركز سوهاج، ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص٢٤؛ محمد رمزي، مرجع سبق ذكره ، ق٢ حـ٤، ص ١٢٤.

(٣١) ويقال لها "بلسفورة" وتتبع أيضاً إقليم "أخميم" ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص ٢٦؛ ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٩.

(٣٢) ويقال أيضاً "البلينا" وهي تابعة لإقليم قوص ابن دقماق، مرجع سبق ذكره ، حـ٥، ص٣٠؛ ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩١؛ محمد رمزي: مرجع سبق ذكره ، ق٢ حـ٤، ص ٩٦.

(٣٣) مدينة كبيرة على ساحل النيل، وهي آخر المدن التابعة لقوص، وتقع ضمن أملاك السلطان الخاصة للمزيد عنها انظر ابن دقماق: مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص٣٣؛ ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٥.

(٣٤) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣٥) القلقشندي: مرجع سبق ذكره، حـ١٤، ص٣٧٤. ناصر خسر: سفر نامه، تعريب يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، ١٩٩٣، القاهرة، ص ١٣٣.

(٣٦) مصطفى سعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٠، ص١٥٢؛ سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، مرجع سبق ذكره، ص١٣.، ابن جبير: رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهارسه محمد زينهم، ذخائر العرب ٧٧، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٧١.

(٣٧) سعداوي:١٩٥٣، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٥.

(٣٨) عبد الرحمن زكي، غزو الإسكندرية، (٧٦٧هـ/١٣٦٦هـ)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١٣٨.

(٣٩) بلدة من أقاليم الوجه البحري وتتبع إقليم الغربية انظر، ابن دقماق، مرجع سبق ذكره ، حـ٥ ص٩٧؛ ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره، ص٩٠. ويذكر محمد رمزي إنها من القري القديمة وتتبع مركز طنطا. انظر محمد رمزي، مرجع سبق ذكره ، ق٢، ج٢، ص ١٠٧.

(٤٠) بلدة تابعة لإقليم الغربية بها أسواق وفنادق وجوامع انظر، ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥، ص٨٦. ويذكر محمد رمزي إنها من القري القديمة ، وهي النحارية الآن وتتبع مركز كفر الزيات. انظر محمد رمزي، مرجع سبق ذكره ، ق٢، ج٢، ص ١٢٢.

(٤١) العمري:١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٤؛ القلقشندي، مرجع سبق ذكره، حـ١٤، ص ٣٧٦؛ أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر عصر الدولة المملوكية الأولى (١٢٥٠-١٣٨١م) رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب عين شمس، القاهرة ١٩٧٢، ص٣٢١؛ Wiet, Histoire de la nation, IV. P. 435

(٤٢) قرية تابعة لإقليم الجيزة، انظر محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ص ٢١١.

(٤٣) قرية تابعة لإقليم الجيزة، انظر محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٢.

(٤٤) قرية تابعة لإقليم البحيرة، انظر ابن دقماق،مرجع سبق ذكره، ج٥، ص ١٠٣. وحاليا تتبع مدينة السادات بمحافظة المنوفية.

(٤٥) قرية تابعة لإقليم البحيرة، انظر القلشندي، مرجع سبق ذكره، ج١٤، ص ٣٧٥. حاليل تتبع مركز كوم حمادة / محافظة البحيرة.

(٤٦) بلدة تتبع إقليم البحيرة، انظر ابن الجيعان، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦. ويذكر محمد رمزي إنها من القري القديمة وهي الآن مدينة دمنهور وتتبع مركز دمنهور. انظر محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ق٢، ج٢، ص ٢٨٥.

(٤٧) بلدة تتبع إقليم البحيرة، انظر ابن دقماق، مرجع سبق ذكره،ج٥، ص ١١١. ويذكر محمد رمزي إنها من القري القديمة وهي احدى قري مركز كفر الدوار. انظر محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ق٢، ج٢، ص ٣٢١.

(٤٨) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(٤٩) ابن فضل الله العمري: المرجع السابق، ص ص ١٨٩-١٩١.

(٥٠) ابن فضل الله العمري: المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٥١) القلقشندي: مرجع سبق ذكره، جـ١٤، ص ٣٧٦، الخانقاه الناصرية (مدينة الخانكة/ محافظة القليوبية) – والخانقاه كلمة فارسية الأصل بمعني دار الصوفية لسكني أهل الصلاح والخير– من إنشاء الناصر محمد بن قلاوون في الربع الأول من القرن الثامن الهجري وقد ظهرت كضاحية سلطانية ثم ما لبثت أن تحولت إلى قرية فبلدة عامرة بفضل عناية السلاطين بها وما تمتعت به من مزايا حتى أصبحت سوقا تجاريا على الطريق... لمزيد من التفاصيل انظر عبد العال الشامي: مدن الدلتا فى العصر العربى، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٩٩،٣٦٨.

(٥٢) محمد رمزي: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى ١٩٤٥، القسم الأول، البلاد المندرسة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٨٤.

(٥٣) القلقشندي: مرجع سبق ذكره، جـ١٤، ص ٣٧٦.

(٥٤) محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق١، ص ١٩٥.

(٥٥) الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، تعداد ١٩٨٦.

(٥٦) ابن الجيعان: مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

(٥٧) ابن دقماق: مرجع سبق ذكره، جـ٥، ص ١٧.

(٥٨) ابن فضل الله العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٥٩) ابن الجيعان: مرجع سبق ذكره، ص ٣٨.

(٦٠) ابن دقماق: مرجع سبق ذكره، جـ٥، ص ٦٥.

(٦١) محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق١، ص ٣٦٦.

(٦٢) ابن الجيعان: مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

(٦٣) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٦٤) القلقشندي: مرجع سبق ذكره، جـ١٤، ص ٣٧٧.

(٦٥) محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق١، ص ٣٧٢.

(٦٦) الخانات: مفردها خان وهى كلمة فارسية ومعناها منزل أو سوق، وكان لها وظيفتها فى التخزين والبيع ومسكن للتجار الغرباء مثلها فى ذلك مثل الفنادق. انظر آمال العمرى: المنشآت التجارية فى القاهرة فى زمن الأيوبين والمماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٠١.

(٦٧) ابن فضل الله العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٦٨) ابن تغري بردي: مرجع سبق ذكره، جـ٧، ص ٨٣.

(٦٩) ابن فضل الله العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٧٠) محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق١، ص ٨٦، وقد حدد المسافة بين حوض أبو غرب وتل الفرما بنحو ١١ كم.

(٧١) ابن فضل الله العمري: ١٩٨٨،مرجع سبق ذكره، ص ١٧٥.

(٧٢) القلقشندي: مرجع سابق ذكره، جـ١٤، ص ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٧٣) الجفار هو المعروف برمل مصر وبه منازل للسفارة أشهرها وأكبرها قطيا ثم الواردة والذي يحيط بالجفار بحر الروم (البحر المتوسط) من رفح إلى بحيرة تنيس.

(٧٤) ابن دقماق: مرجع سبق ذكره، جـ٥، ص ٥٣.

(٧٥) الظاهري: مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

(٧٦) الظاهري: المرجع السابق، ص ٤١.

(٧٧) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٠، القلشندي: مرجع سبق ذكره، جـ١٤، ص ٣٧٨.

(٧٨) نعوم شقير :تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دارالمعارف، القاهرة، ١٩١٦، ص ٢٥٣.

(٧٩) الظاهري: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٢.

(٨٠) ابن دقماق: مرجع سبق ذكره، جـ٥، ص ٥٢.

(٨١) ابن دقماق: المرجع السابق ذكره، ص ص ٥٧-٥٨.

(٨٢) محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق١، ص ص ١٢٤-١٢٥.

(٨٣) علي مبارك: الخطط التوفيقية، حـ١٧، طبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠٦هـ، ص ٥٧.

(٨٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج١، طبعة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٨٤.

(٨٥) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص١٩٠/١٩١. وقد نقل عنه النص القلقشندي والظاهري. وحين نقارن طول المسافة بين بئر المزار (الواردة) وعقرة الزوال (بئر القاضي) نجد أن هذه المسافة أطول من غيرها من المسافات بين المحطات البريدية على الدرب السلطاني – مما يؤكد صحة قول العمري في الوقت الذي لا تزيد فيه المسافة ما بين بئر القاضي والعريش عن ١٠ كم.

(٨٦) محمد رمزي: مرجع سبق ذكره، ق١، ص ١٨٥.

(٨٧) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٣.

(٨٨) العمري: المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٨٩) وهذا يؤكد أقوال ابن فضل الله العمري السابقة عن الخروبة في عصره. وقد وقعها نعوم شقير على خريطته لسيناء.

(٩٠) النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٧٠.

(٩١) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص ص ١٧٢-١٧٣.

(٩٢) ابن دقماق: مرجع سبق ذكره، جـ٥، ص ٥٣.

(٩٣) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٣.

(٩٤) القضاعى: المختار فى ذكر الخطط والآثار نقلاً عن يوسف كمال، المجموعة الكمالية، ص ٧٢٧.

(٩٥) أبو الفدا: تقويم البلدان، طبع باريس، ١٨٤٠، ص ١٠٣.

(٩٦) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، مرجع سبق ذكره، ج٣، ص ٣١٤.

(٩٧) ابن تغرى بردى: مرجع سبق ذكره، ج٧، ص ص ١١-١٢.

(٩٨) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، القسم الثاني، صححه ووضح حواشيه محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص ٤٤٦.

(٩٩) القلقشندي: مرجع سبق ذكره، ج٤، ص ٣٦٨.

(١٠٠) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، ص ص ٢٩-٣٠.

(١٠١) المقريزي: السلوك، مرجع سبق ذكره، ج١، ق١، ص ص ٢٥٩-٢٦٠.

(١٠٢) المقريزي:١٩٧٠، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٣٦٧.

(١٠٣) ابن شداد: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٤.

(١٠٤) المقريزي: ١٩٧٠، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ٣٨٨.

(١٠٥) المقريزي: السلوك، حـ١، ق٣، ص ٨٨٦.

(١٠٦) أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٧٧، ص١٨٧؛ Ayalon, The Auxiliary Forces of the Mamluk Sultanate, Der, Islam, 65(1988), p. 23.

(١٠٧) المقريزي: السلوك، مرجع سبق ذكره، حـ١ ق٢، ص ٤٨١. محمود خليل، نيابة غزة في العهد المملوكي، بيروت ١٩٨٦، ص ١٨٩.

Ayalon, the Auxiliary, p. 23; Amitai, Mongols and Mamluks, p. 67.

(١٠٨) بلدة في نهاية طريق الجفار على حدود الشام انظر ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، حـ٥ ص ٥٣.

(١٠٩) بلدة من نواحي الجفار أي رمل مصر على الطريق المصري – الشامي، محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ق١، ص ٦٦.

(١١٠) الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر،الجزء التاسع المسمى الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس بروبرت رويمر، المعهد الألمانى للأثار، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١١٤.

(١١١) من البلاد المندرسة وحالياً هي بناحية سواد بمركز فاقوس بالشرقية، محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ق١، ص ٧٢.

(١١٢) قرب العريش منها على الورادة وحالياً تعرف "بعقرة الزوال" غرب العريش. محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ق١، ص ١٨٥.

(١١٣) من البلاد المندرسة وهي تلي العريش على طريق البلاد الشام بين العريش ورفح. محمد رمزي، مرجع سبق ذكره، ق١، ص ٥٣.

(١١٤) إحدى مراكز البريد بين القاهرة وغزة وظلت كذلك إلى أن اندثرت وأقيم مكانها "خان ونس"، محمود خليل، مرجع سبق ذكره، ص ٧٣.

(١١٥) العمري:١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٧؛ وقد أضاف القلقشندي مركزًا للبريد بين السلقة وغزة وهو "الداروم" انظر، القلشندي، مرجع سبق ذكره، ص ١٤، ص ٣٧٨.

(١١٦)القلقشندي: مرجع سبق ذكره ، حـ١٤، ص ص ٣٧٧–٣٧٨؛ سعداوي، ١٩٥٣.

(١١٧) المقريزي: السلوك، مرجع سبق ذكره، حـ١ ق٢، ص ٤٩٢.

(١١٨) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٤٨.

(119) Ayalon. The Auxiliary. P. 23.

(١٢٠) الدواداري: مرجع سبق ذكره، ص ص ١١٤–١١٥.

(١٢١) سعيد عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت العربية ١٩٧٧، ص ٣٧.

(١٢٢) الدواداري: مرجع سبق ذكره، ص ١١٦.

(١٢٣)المقريزي: السلوك، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ٦٥.

(١٢٤) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م، ج٤، ص ٢٢٦.

(١٢٥) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الظاهر، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، طبعة عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦م، ص ص ١٣١، ٢٦٠.

(١٢٦) ابن طولون: رسائله، نسخة كبيرة متفرقة المحتوى بمكتبة أحمد الثالث في تركيا برقم ١٣١٦، ص ٦٣.

(١٢٧) المقريزي: السلوك، مرجع سبق ذكره، حـ٢، ق٢، ص ٥١٦.

(١٢٨) ابن طولون: اللمعات البرقية في النكت التاريخية، دمشق ١٣٤٨هـ، ص ٥٩.

(١٢٩) على إبراهيم حسن: آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية، مجلة كلية الآداب، المجلد السابع، القاهرة ١٩٤٤، ص ص ٦-٧.

(١٣٠) المقريزي: السلوك، مرجع سبق ذكره، حـ٢ ، ق٣، ص ص ٧٣١، ٩١٧.

(١٣١) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٦؛ القلقشندي، مرجع سبق ذكره، حـ١٤، ص ٣٧٧.

(١٣٢) النويري: نهاية الأرب في فنون الآدب، ج٣٠، تحقيق مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ص ص ١٩١-١٩٢.

(١٣٣) المقريزي: المرجع السابق، حـ٢، ق٢، ص ٥١٦.

(١٣٤) المقريزي: المرجع السابق، جـ٢ ق٢، ص ٦٥٦.

(١٣٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ح١٤، تحقيق عبدالله التركي، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣، ص ٢١٦.

(١٣٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٧٥.

(١٣٧) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- دولة المماليك الأولى،ج١ دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولكسي، نشر المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٦م، ص٤٢.

(١٣٨) العمري: ١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤.

(١٣٩) أنشئ هذا البرج في عهد الملك الكامل الأيوبي لتبادل بطائق الحمام بينه وبين مدن الفيوم وقد ظل يؤدي وظيفته في العصر المملوكي حيث أطلق عليه "برج الفيوم" للمزيد انظر المقريزي، ١٩٧٠، مرجع سبق ذكره، حـ٣، ص ٣٧٥.

(١٤٠) المقريزي: المرجع السابق، حـ٣، ص ٣٧٥، النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده، القاهرة ١٨٩٨، ص ٣١.

(١٤١) العمري:١٩٨٨، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤.

(١٤٢) القلقشندي: مرجع سبق ذكره، حـ١٤، ص ٣٧٠.

(١٤٣) المقريزي: ١٩٧٠، مرجع سبق ذكره ، ج٣، ص ٣٧٧.

(١٤٤) للمزيد عن هذا البرج انظر، Creswell. The Muslim Architecture, pp.14-16

(١٤٥) هيئة الآثار المصرية، آثار سيناء جزيرة فرعون قلعة صلاح الدين، القاهرة ١٩٨٦، ص ٢.

(١٤٦) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، طبعة الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٠١.

(١٤٧) العيني: مرجع سبق ذكره، ج٣، ص ص ٢٢٨، ٣٠٧.

Roads in The Era of The Sultans of Egypt Marine Mamluk (648-784H / 1250-1381AD)

ABSTRACT

Mail is appointed Sultans eye which from The events around Them (the refore interested Sultans Mamluk Marine 648-784H / 1250-1381AD) mail – term interest, this was the Mamluk Egypt have enjoyed agood network of roads mail.

And will begin aresearcher talking about the interminology and language, Then the exposure to network E roads in Egypt by talking about surface mail, which we will discuss in which to talk about E distance, over the governments attention to the ways mailing wild, the role of the tribes of the Bedouins and Turkmen in consolidate mail device, uses surface mail.

Then moves on to talk about airmail by talking about Alrsaila Abirds, shower towers and Finally uses models of correspondence cards Across the Abirds.